عملاق
سيرة ذاتية تروي حكاية صعود نسيم حميد
ص9

حنكة سانتوس تعيد الجيش الملكي إلى الواجهة
ص11

آليات أممية عاجزة أمام شبكات تهريب النفط في ليبيا
ص3

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
أسسها: أحمد الصالحين الهوني
الإثنين 2026/04/20 - 03 ذو القعدة 1447
السنة 48 العدد 13789
Monday 20/04/2026
48th Year, Issue 13789
www.alarab.co.uk

خطة أميركية لتوسيع ملاحقة نفط إيران إلى المياه الدولية

مساعٍ أميركية لتقويض «أسطول الظل» الإيراني

واشنطن - تشير معطيات متزايدة إلى أن الولايات المتحدة تتجه نحو تصعيد نوعي في أسلوب تعاملها مع ملف الصادرات النفطية الإيرانية، عبر خطة جديدة تستهدف توسيع نطاق العمليات البحرية لتشمل المياه الدولية، بدلًا من الاكتفاء بالرقعة التقليدية في الخليج ومضيق هرمز.

ويعكس هذا التحول، وفق تقديرات مراقبين، انتقالًا من سياسة الاحتواء والردع الموضعي إلى إستراتيجية أكثر شمولًا تهدف إلى تضييق الخناق على ما تصفه واشنطن بشبكات "الالتفاف" التي تعتمدها طهران لتصدير نفطها رغم العقوبات.

وبحسب تقارير إعلامية غربية نقلت عن مسؤولين أميركيين، فإن الخطة المرتقبة تتضمن تنفيذ عمليات اعتراض وتفتيش لناقلات نفط وسفن تجارية يُشتبه في ارتباطها بإيران، ليس فقط في الممرات الحيوية القريبة من الخليج، بل أيضًا في مناطق بحرية بعيدة، ما يعني توسيع ساحة المواجهة لتشمل خطوط الملاحة الدولية.

ويأتي ذلك في إطار مساع أميركية لتقويض ما يُعرف بـ"أسطول الظل"، وهو شبكة من السفن التي تستخدمها إيران لنقل النفط بطرق ملتوية لتجنب الرقابة والعقوبات.

ويقوم جوهر هذه الإستراتيجية على اعتراض السفن في عرض البحر، والتحقق من وجهاتها وحمولاتها، قبل اتخاذ إجراءات قد تتراوح بين تفتيشها ميدانيًا واحتجازها أو إجبارها على تغيير مسارها.

> الخطة تتضمن تنفيذ عمليات اعتراض لناقلات نفط يُشتبه في ارتباطها بإيران، في الممرات القريبة، وفي مناطق بحرية بعيدة

وتؤكد مصادر مطلعة أن هذه العمليات تستند إلى مبررات تتعلق بفرض العقوبات الدولية ومكافحة التهريب، لكنها في الوقت ذاته تحمل أبعادًا سياسية واضحة، إذ تسعى واشنطن من خلالها إلى زيادة الضغط على الاقتصاد الإيراني ودفع طهران نحو تقديم تنازلات في ملفات التفاوض العالقة.

ويعكس هذا التوجه أيضًا إدراكًا أميركيًا بأن التركيز الحصري على مضيق هرمز لم يعد كافيًا لتحقيق الأهداف المرجوة، في ظل قدرة إيران على تطوير أساليب بديلة لنقل النفط، تشمل استخدام سفن غير مسجلة بوضوح، أو تغيير مسارات الشحن، أو إجراء عمليات نقل من سفينة إلى أخرى في عرض البحر.

ولذلك يبدو أن واشنطن تسعى إلى ملاحقة هذه الأنشطة عبر توسيع نطاق عملياتها إلى ما هو أبعد من النقاط التقليدية الساخنة.

وفي المقابل تنظر طهران إلى هذه التحركات بوصفها تصعيدًا خطيرًا وانتهاكًا صريحًا للقانون الدولي، معتبرة أن اعتراض السفن في المياه الدولية يندرج ضمن ما تصفه بـ"القرصنة البحرية".

وقد لوّحت إيران، في أكثر من مناسبة، بالرد على أي استهداف لمصالحها البحرية، سواء عبر تعزيز وجودها العسكري في مضيق هرمز أو من خلال اتخاذ إجراءات مضادة تشمل اعتراض سفن أجنبية أو فرض قيود على الملاحة في الممرات الحيوية.

وتتزامن هذه التطورات مع مؤشرات على تصاعد التوتر الميداني في المنطقة، حيث أفادت تقارير بتعرض عدد من السفن التجارية لهجمات أو عمليات اعتراض خلال الفترة الأخيرة، ما يثير مخاوف متزايدة بشأن أمن الملاحة الدولية.

كما تشير تقديرات غير رسمية إلى أن عشرات السفن المرتبطة بشبكات النقل الإيرانية تعرضت بالفعل للتعطيل أو المراقبة المشددة، في سياق حملة متواصلة تستهدف تقليص عائدات النفط الإيراني.

ويرى محللون أن توسيع العمليات البحرية إلى المياه الدولية يحمل في طياته مخاطر متعددة، أبرزها احتمال وقوع احتكاكات مباشرة بين القوات البحرية، أو تصاعد حوادث الاعتراض إلى مواجهات مفتوحة، خاصة في ظل غياب تفاهمات واضحة حول قواعد الاشتباك في هذه المناطق.

كما أن هذا النهج قد يؤدي إلى تعقيد حركة التجارة العالمية، نظرًا لتداخل مسارات الشحن وتزايد احتمالات التدقيق في السفن العابرة.

ومن جهة أخرى لا يمكن فصل هذا التصعيد عن السياق الأوسع للعلاقات الأميركية – الإيرانية، حيث تشهد المفاوضات بين الجانبين حالة من الجمود والتعثر.

وفي هذا الإطار تبدو العمليات البحرية جزءًا من أدوات الضغط التي تستخدمها واشنطن لتعزيز موقعها التفاوضي، عبر استهداف أحد أهم مصادر الدخل الإيراني. غير أن هذا الأسلوب قد يدفع طهران في المقابل إلى تبني مواقف أكثر تشددًا، ما يحد من فرص التوصل إلى تسوية على المدى القريب.

وعلى الصعيد الدولي يثير هذا التصعيد قلقًا متزايدًا لدى الدول المستوردة للطاقة، التي تخشى انعكاسات أي اضطراب في حركة الشحن على إمدادات النفط وأسعاره. فالممرات البحرية التي قد تمتد إليها العمليات الأميركية تُعد شرايين حيوية للتجارة العالمية، وأي توتر فيها قد يؤدي إلى ارتفاع تكاليف النقل والتأمين، فضلًا عن تقلبات في الأسواق.

وفي ضوء ذلك تبدو المنطقة مقبلة على مرحلة أكثر تعقيدًا، حيث لم تعد المواجهة تقتصر على حدود جغرافية ضيقة، بل باتت تمتد إلى فضاء بحري أوسع، تتداخل فيه الأبعاد الأمنية والاقتصادية والسياسية.

ومع استمرار هذا النهج التصعيدي، يبقى السؤال مفتوحًا حول مدى قدرة الأطراف المعنية على ضبط إيقاع المواجهة ومنع انزلاقها إلى مستويات أكثر خطورة، في وقت تتزايد فيه رهانات الضغط وتضيق فيه هوامش المناورة.

ضغوط متصاعدة

ترامب يخيّر إيران في إسلام آباد: اتفاق معقول أو الدمار

واشنطن - أعلن الرئيس دونالد ترامب الأحد أن وفدا أميركيا سيتوجه إلى إسلام آباد الاثنين لاستئناف المباحثات بشأن إنهاء الحرب مع إيران، وسط مخاوف أوروبية من أن يفضي إبرام اتفاق سريع إلى مأزق فني.

وكتب ترامب في منشور على منصته تروث سوشال "يتوجه ممثلون عني إلى إسلام آباد في باكستان. سيكونون هناك مساء الغد (الاثنين)، للمفاوضات"، مضيفا أنه يعرض على إيران "اتفاقا معقولا".

وبينما اتهم الجمهورية الإسلامية بخرق الاتفاق الراهن لوقف إطلاق النار في مضيق هرمز، حذّر ترامب من أن "الولايات المتحدة ستدمّر كل محطة لإنتاج الطاقة، وكل جسر في إيران" ما لم يتم التوصل إلى اتفاق يضع حدا نهائيا للحرب.

وأضاف "لا مزيد من السيد اللطيف!".

وفي تهديده الجديد، كتب الرئيس الأميركي إن الجسور ومحطات الطاقة "سوف تسقط بسرعة، وستسقط بسهولة". وتابع "إذا لم يقبلوا بالصفقة، يشرّفني أن أفعل ما يجب فعله، وهو ما كان ينبغي على رؤساء آخرين القيام به تجاه إيران خلال السنوات السبع والأربعين الماضية".

ورغم لهجة الوعيد التي يتبناها الرئيس الأميركي، لكن محللين ومسؤولين يتفقون على أن هاجس الرئيس الأميركي هو إنهاء الحرب حتى وإن كان باتفاق منقوص.

وقال دبلوماسيون لديهم خبرة سابقة في التعامل مع طهران إن الحلفاء الأوروبيين يخشون أن يضغط فريق التفاوض الأميركي الذي لا يتمتع بالخبرة من أجل التوصل إلى اتفاق إطاري سريع يتصدر العناوين مع إيران، وهو اتفاق قد يؤدي إلى ترسيخ أكبر المشكلات بدلا من حلها.

ويخشون من أن واشنطن، في سعيها الحثيث لتحقيق انتصار دبلوماسي للرئيس دونالد ترامب، قد تبرم اتفاقا سريعا بشأن البرنامج النووي الإيراني، ورفع العقوبات لا يعالج جميع القضايا الرئيسية، ثم تعاني بعد ذلك لأشهر أو سنوات من مفاوضات لاحقة معقدة من الناحية الفنية.

وقال دبلوماسي أوروبي كبير، وهو واحد من ثمانية دبلوماسيين تحدثوا لرويترز وعملوا سابقا على الملف النووي أو ما زالوا يعملون عليه، "القلق ليس من عدم التوصل إلى اتفاق.. بل من التوصل إلى اتفاق مبدئي سيء يجلب مشاكل لا حصر لها في المستقبل".

وردا على سلسلة من الأسئلة التي وجهتها رويترز، وتناولت أسلوب التفاوض والفريق التفاوضي والأهداف والمخاطر المحتملة لإبرام اتفاق سريع، رفض البيت الأبيض هذه الانتقادات.

وقالت المتحدثة آنا كيلي "للرئيس ترامب سجل حافل في إبرام اتفاقات جيدة نيابة عن الولايات المتحدة والشعب الأميركي، ولن يقبل إلا باتفاق يضع أميركا أولا".

ويتهم دبلوماسيون من فرنسا وبريطانيا وألمانيا، بتهميش بلدانهم التي كانت بدأت التفاوض مع إيران في عام 2003.

وبين عامي 2013 وعام 2015، عملت الدول الثلاث مع الولايات المتحدة للتوصل إلى اتفاق بشأن الحد من برنامج إيران النووي مقابل رفع العقوبات، وهو ما يعرف باسم خطة العمل الشاملة المشتركة.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير

عشرون عاما على رحيل الحاج الهوني: اطمئن فنحن بخير

بعد مرور عشرين عاما على رحيله، لا يزال اسم المغفور له بإذن الله تعالى الحاج أحمد الصالحين الهوني حاضرا بقيمة مشروعه الإعلامي والثقافي، وبعظمة ميراثه الأخلاقي والإنساني، وبرسالته التي ستبقى راسخة في عقول وقلوب أبنائه وأحفاده وتلامذته وأحبائه، وفي ضمير وطنه وأمته، عنوانا لتجربة ثرية في مسارات العمل الصحفي والإلتزام، ليس فقط بضوابطه المهنية وأسسه المعرفية، وإنما أيضا بالنظر إليه كقضية نضال من أجل نصرة الإنسان حيثما كان، والدفاع عن قيم الحرية والعدل والمساواة، وتحمل مسؤولية قول الحقيقة والتمسك بها مهما كان الثمن.

في الثامن عشر من أبريل 2006، غادرنا الوالد الحاج الهوني إلى رحمة الله، بعد تجربة حياتية ونضالية ومهنية واسعة، ثرية وعميقة، وضاربة الجذور في البيئة الليبية، وعلى امتداد الفضاء العربي الواسع. فالرجل الذي وُلد عام 1929 بالسلّوم لأسرة تنحدر من واحات هون في جنوب البلاد، وتعرّضت للتهجير إلى مصر بسبب مواقفها الوطنية، كان يحمل في داخله شعلة موهبة عرفت كيف تنحت طريقها في الصخر. فقد تربّى على عشق الصحافة، وجعل منها طريقه نحو الدور الوطني والقومي الذي كان موعودا به.

ترعرع الحاج الهوني بين أحضان أسرة عريقة، مولعة بالفكر والأدب، وعاشقة للصحافة والإعلام، وهو ما جعله ينخرط مبكرا في المهنة، سواء كصحافي جريء ذي قلم لا يعرف الانحناء، أو كصاحب رؤية سياسية واجتماعية وثقافية وإعلامية، فتحت أمامه المجال لينضم إلى جحفل بناة دولة الاستقلال في ليبيا: المملكة الليبية، أو المملكة السنوسية كما كان يحلو له تسميتها.

وبعد أن شغل عددا من المسؤوليات الإدارية المهمة، كوكيل لوزارة الشؤون الاجتماعية، تولّى الحاج الهوني منصب وزير الثقافة والإعلام في حكومتي عبدالحميد البكوش وونيس القذافي. ومن هناك، نجح في تشكيل ملامح البنية التحتية لهذين المجالين المهمين في الدولة الناشئة، من إطلاق بث التلفزيون الليبي، وتأسيس وكالة الأنباء، وتطوير العمل الإذاعي، وتوسيع حركة الصحافة المكتوبة في طرابلس وبنغازي، وإصدار عدد من المجلات المتخصصة، ودعم النشاط الفني والموسيقي والمسرحي، واستقطاب الكفاءات من مختلف الدول العربية للمساهمة في تأسيس حركة فنية وثقافية وإعلامية قوية في ليبيا.

وكان ينطلق في كل ذلك من حس وطني فياض وروح قومية متوهجة، مؤمنا بأن الإعلام والثقافة مجالان متلازمان يعبران عن الهوية الحضارية للدولة والمجتمع، ولا يمكن فصلهما عن مشروع الوطن الكبير والأمة الواحدة.

بعد مرور عشرين عاما على رحيله، لا يُذكر الحاج الهوني إلا وتُذكر معه تلك القيم النبيلة والمبادئ السامية التي اعتنقها وآمن بها ودافع عنها، وجعل منها رسالته في الحياة. ومن ذلك إيمانه بدور الكلمة في إعمال العقل، وتغذية الوجدان، وإنعاش الذاكرة، وترسيخ روح الانتماء، وفي بناء الدول وتأمين وحدتها وصيانة ثوابتها وتحصين مقدراتها، وفي الارتقاء بالمجتمع وتنويره، والسير به على درب التقدم والرقي والتحضر، والخروج به من مربعات الجهل والخوف والتردد والظلام.

لقد كان الحاج الهوني سادن الكلمة وحارس الأحلام الكبرى. آمن بالعرب والعروبة، وجعل من القومية العربية عقيدته التي لا يألف نورها ولا تخمد جذوتها، ومن الوحدة العربية من المحيط إلى الخليج هدفه وغايته، والمشروع الحضاري العظيم الذي التزم به منذ نعومة أظافره، وازداد رسوخا في عقله وضميره مع تشكل المد القومي العربي. وعندما سنحت الظروف وتهيأت في عام 1977 ليؤسس أول صحيفة تنطق بلغة الضاد في أوروبا، اختار لها اسم "العرب" تيمنا بهوية الأمة، وانسجاما مع قناعاته الشخصية، وإيمانا منه بأن للعروبة مشروعها الحضاري الخالد الذي يجمع أبناءها تحت خيمة واحدة.

> لا يُذكر الحاج الهوني إلا وتُذكر معه تلك القيم النبيلة والمبادئ السامية التي اعتنقها وآمن بها ودافع عنها

ومن هناك، جعل الحاج الهوني من "العرب" مؤسسة تتسع لكبار الصحافيين والكتاب العرب، وللمواهب الشابة، وأصحاب الرأي والرأي الآخر، فإذا بالحدود تُلغى والحواجز تنهار على صفحاتها، وفي أفق الفكر الذي تنطلق منه، والأهداف التي تؤمن بها. التقى الليبي والسوري والعراقي واليمني والجزائري والمغربي والتونسي والفلسطيني والسوداني وغيرهم على قلب رجل واحد، هو قلب الأب المؤسس، الذي عرف كيف يوحد بينهم، ويتجاوز بهم الخلاف في الرأي إلى الإجماع على احترام الرسالة التي جعلت أصواتهم تصل إلى ملايين القراء في الوطن الكبير.

وبعد مرور عشرين عاما على رحيله، لا يزال الحاج أحمد الصالحين الهوني، الأب المؤسس لـ"العرب"، والأستاذ الملهم، صاحب المدرسة التي لا يزال يتخرج منها الصحافيون المهنيون والكتاب المبدعون والتقنيون المهرة، وصاحب الرؤية التي ما انفكت تثبت صحتها وجدواها وقدرتها على البقاء والاستمرار، رغم عواصف التغيير والتحولات التي تهب على أكثر من صعيد وفي أكثر من اتجاه.

رحمة الله عليك يا حاج... شكرا لك على ما قدمت لوطنك وأمتك وأسرتك وأبنائك ومحبيك... لن ننساك... اطمئن، فنحن بخير، و"العرب" باقية رغم تقلب الظروف وكيد الكائدين.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

خطط أوروبية لتوطيد العلاقات الاقتصادية والأمنية مع سوريا

حوار سياسي رفيع المستوى بين الاتحاد الأوروبي ودمشق في مايو

وثيقة أوروبية تنص على أن بروكسل ستعيد تشكيل نظام العقوبات المفروض على سوريا، بحيث يتم الحفاظ على وسائل الضغط، مع استهداف الأطراف التي يُعتقد أنها تعرقل العملية الانتقالية، في إشارة إلى نهج أكثر مرونة وأقل شمولية مقارنة بالمراحل السابقة.

بروكسل - **تتجه دول الاتحاد الأوروبي إلى إعادة صياغة مقاربتها تجاه سوريا عبر مسار جديد يقوم على توطيد العلاقات الاقتصادية والأمنية مع دمشق، في تحول مهم يعكس مراجعة تدريجية لسياسة استمرت لسنوات قائمة على العزلة والعقوبات.**

ويأتي هذا التحول، وفق وثيقة دبلوماسية اطلعت عليها وكالة رويترز، في سياق محاولة أوروبية لإعادة الانخراط في الملف السوري بعد مرحلة طويلة من الجمود السياسي، وفي ظل تغييرات إقليمية ودولية أعادت فتح النقاش حول مستقبل العلاقة مع دمشق.

وتشير الوثيقة، التي أعدتها الدائرة الدبلوماسية للاتحاد الأوروبي وأُرسلت إلى الدول الأعضاء، إلى أن التكتل يعتزم استئناف العمل بالكامل باتفاقية التعاون الموقعة مع سوريا عام 1978، وهي خطوة ذات دلالة سياسية مهمة، تعني عملياً إعادة تفعيل إطار قانوني قديم كان مجمداً منذ عقود.

كما تنص الوثيقة على إطلاق حوار سياسي رفيع المستوى مع السلطات السورية في 11 مايو المقبل، وهو ما يشكل أول قناة رسمية منظمة للتواصل السياسي بين الطرفين منذ سنوات.

ويعكس هذا التطور تحولا تدريجيا في الموقف الأوروبي، من سياسة الضغط والعقوبات إلى سياسة "الانخراط المشروط"، حيث يسعى الاتحاد إلى فتح قنوات تواصل مع دمشق، دون التخلي الكامل عن أدوات التأثير السياسي.

وفي هذا السياق، تنص الوثيقة على أن بروكسل ستعيد تشكيل نظام العقوبات المفروض على سوريا، بحيث يتم الحفاظ على وسائل الضغط، مع استهداف الأطراف التي يُعتقد أنها تعرقل العملية الانتقالية، في إشارة إلى نهج أكثر مرونة وأقل شمولية مقارنة بالمراحل السابقة.

ويأتي هذا التوجه في وقت تسعى فيه دمشق إلى إعادة تموضعها الدولي بعد رفع جزء كبير من العقوبات الغربية بنهاية العام الماضي، في ظل قيادة الرئيس أحمد الشرع.

وقد فتحت هذه التطورات الباب أمام تحركات سياسية واقتصادية جديدة، تهدف إلى إعادة دمج سوريا تدريجياً في محيطها الإقليمي والدولي، بعد سنوات من العزلة التي فرضتها الحرب.

وفي البعد الاقتصادي، تضع الخطط الأوروبية سوريا ضمن رؤية أوسع لإعادة ربط المنطقة بشبكات التجارة والطاقة العالمية. إذ تشير الوثيقة إلى نية الاتحاد الأوروبي تعزيز الشراكة الاقتصادية مع دمشق، من خلال وضع إطار جديد للتجارة والاستثمار، وتحفيز مشاركة القطاع الخاص، إلى جانب دعم إصلاحات اقتصادية تهدف إلى تحسين بيئة الأعمال.

> **التوجه الأوروبي يشير إلى أن البعد الاقتصادي أصبح محركا لإعادة الانفتاح على دمشق، إلى جانب البعدين السياسي والأمني**

كما يتضمن هذا التوجه إنشاء آليات دعم فني ومراكز مساعدة تقنية، من شأنها تسهيل عملية إعادة بناء الاقتصاد السوري تدريجياً.

ولا تقتصر الرؤية الأوروبية على البعد الثنائي، بل تمتد إلى إعادة إدماج سوريا في مشاريع الربط الإقليمي الكبرى.

وتلفت الوثيقة إلى إمكانية انخراط البلاد في الممر الاقتصادي الذي يربط الهند بالشرق الأوسط وأوروبا، وهو مشروع إستراتيجي يهدف إلى تعزيز شبكات النقل والطاقة والاتصالات بين القارات.

وفي هذا السياق، يمكن أن تتحول سوريا إلى نقطة عبور حيوية في مسارات التجارة الإقليمية، خاصة في ظل التحولات الجيوسياسية التي تشهدها المنطقة.

وتعزز هذه التوجهات مؤشرات ميدانية بدأت تظهر خلال الأشهر الأخيرة، حيث أصبحت سوريا تدريجياً جزءاً من بعض خطوط الإمداد الإقليمي. فقد تم، بحسب تقارير، نقل أول شحنة نفط عراقية براً عبر الأراضي السورية من ميناء بانياس، في خطوة تعكس بداية إعادة تفعيل موقع سوريا الجغرافي في منظومة الطاقة الإقليمية، خاصة في ظل الاضطرابات التي شهدتها بعض الممرات البحرية الحيوية.

كما تتقاطع هذه التحركات مع مشاريع إقليمية أخرى، إذ تعمل تركيا وسوريا والأردن على تطوير شبكات النقل والسكك الحديدية بهدف إنشاء ممر يربط جنوب أوروبا بالخليج، ما قد يمنح سوريا دوراً محورياً في حركة التجارة بين آسيا وأوروبا.

ويشير هذا التوجه إلى أن البعد الاقتصادي أصبح أحد أهم محركات إعادة الانفتاح على دمشق، إلى جانب الاعتبارات السياسية والأمنية.

وفي الجانب الأمني، تتضمن الخطط الأوروبية رؤية واضحة لتعزيز التعاون مع المؤسسات السورية في مجالات متعددة، أبرزها مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة وتهريب المخدرات.

وتشير الوثيقة إلى أن الاتحاد الأوروبي مستعد لدعم تدريب قوات الشرطة السورية، والمساهمة في بناء القدرات المؤسسية لوزارة الداخلية، في إطار مقاربة تهدف إلى تعزيز الاستقرار الداخلي كشرط أساسي لأي عملية انتقال سياسي ناجحة.

نقلة نوعية

التوجه الأوروبي يشير إلى أن البعد الاقتصادي أصبح أحد أهم محركات إعادة الانفتاح على دمشق، إلى جانب الاعتبارات السياسية والأمنية.

كما تتضمن الرؤية الأوروبية دعماً مباشراً لجهود دمج المناطق الخارجة عن سيطرة الدولة سابقاً، وخاصة في شمال شرق سوريا، ضمن هيكل الدولة المركزية. وتشير الوثيقة إلى دعم تنفيذ اتفاق تم التوصل إليه في يناير الماضي بين دمشق والسلطات المحلية التي يقودها الأكراد، وينص على دمج المؤسسات الإدارية والأمنية تدريجياً في مؤسسات الدولة، إلى جانب تعزيز حقوق المكون الكردي ضمن إطار وطني شامل.

وفي هذا السياق، شهدت الأشهر الأخيرة خطوات عملية لتنفيذ هذا الاتفاق، من بينها تعيين قيادات محلية في مناصب حكومية مركزية، إضافة إلى انسحاب تدريجي للقوات الأميركية من بعض قواعدها في شمال شرق البلاد، ما يعكس تغيراً في ميزان القوى على الأرض، ويعزز فرص إعادة توحيد المؤسسات السورية تدريجياً.

وأما ملف اللاجئين، فيبقى أحد أكثر الملفات حساسية في العلاقة بين سوريا والاتحاد الأوروبي. إذ تستضيف أوروبا أكثر من مليون لاجئ وطالب لجوء سوري، نصفهم تقريباً في ألمانيا. وتضع الوثيقة هذا الملف ضمن أولويات الحوار السياسي الجديد، مع التركيز على مفهوم "العودة الآمنة والطوعية والكريمة" للاجئين والنازحين، وهو ما يشكل أحد محاور النقاش الأساسية بين العواصم الأوروبية ودمشق.

واشنطن تدفع نحو حل سياسي في الصحراء المغربية وترسيخ خيار الحكم الذاتي

محمد ماموني العلوي

الرباط - **أكد الممثل الدائم للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، السفير مايك والتز، وجود مؤشرات على تقدم في ملف الصحراء، مشيرا إلى أن النزاع المستمر شهد تطورات إيجابية على مستوى المسار السياسي، وذلك في واحدة من أبرز الإشارات الأميركية الجديدة الصادرة من داخل أروقة الأمم المتحدة بشأن هذا الملف.**

وجاء ذلك خلال جلسة أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأميركي، خصصت لموضوع إصلاح الأمم المتحدة.

وكان ملف الصحراء حاضرا ضمن عدد من القضايا الدولية على طاولة لجنة العلاقات الخارجية، حيث قال السفير مايك والتز إن واشنطن ترى أن تحقيق تقدم في نزاعات طويلة الأمد يمر أولا عبر جمع مختلف الأطراف إلى طاولة الحوار، معتبرا أن مجرد اجتماع الأطراف المعنية داخل فضاء تفاوضي يمثل خطوة مهمة في حد ذاته.

وأعلن مايك والتز أمام مجلس الشيوخ عن ربط واشنطن مستقبل بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء المغربية (المينورسو) بمسار سياسي واضح يستند إلى مبادرة الحكم الذاتي التي يقترحها المغرب أساسا للمفاوضات، وذلك تزامنا مع قرب عقد مشاورات مغلقة في 24 أبريل الجاري، تليها في 30 أبريل إحاطة يقدمها الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، تتضمن تقييما إستراتيجيا لمستقبل البعثة، بما يشمل ولايتها وأولوياتها وآفاقها على المدى البعيد.

وأكد رئيس المرصد الوطني للدراسات الإستراتيجية محمد الطيار أن "دفاع واشنطن عن مركزية الحكم الذاتي كأرضية لأي حل سياسي وتبنّي مجلس الأمن لهذا الخيار الواقعي كإطار وحيد للتسوية، يعزز المسار السياسي ويضع حدًا لحالة الغموض التي استغلتها بعض التنظيمات المسلحة وشبكات التهريب في المنطقة، وسيمكن من توسيع مجالات التعاون الأمني والاستخباراتي بين المغرب والولايات المتحدة".

وأوضح لـ"العرب" أن "جلسة مجلس الأمن بخصوص المينورسو تأتي في هذا السياق الذي يتعاظم فيه الحضور الدولي للمقترح المغربي للحكم الذاتي، وتعكس مرحلة متقدمة من إعادة تشكيل التوازنات داخل مجلس الأمن الدولي، وهو ما يعزز موقع المبادرة المغربية ويقربها أكثر من التحول إلى مرجعية أساسية في أي تسوية سياسية مستقبلية".

وشدد الطيار على أن "الرئيس الأميركي دونالد ترامب يمكنه التنازل عن التصنيفات والعقوبات، إذا انخرطت جبهة بوليساريو في مفاوضات بحسن نية لتنفيذ مخطط الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية"، لافتا إلى أن "التعامل الأميركي مع هذا الملف لا ينبغي أن يغفل التحولات التي طرأت على البيئة الإقليمية والدولية، أبرزها الانهيار الأمني في دول الساحل".

وفي إطار جهود الدبلوماسية الأميركية لدفع المسار السياسي في ملف الصحراء المغربية ودفع الجزائر للانخراط ضمن مناقشة خيار الحكم الذاتي كأرضية للتسوية، التقى مستشار رئيس الولايات المتحدة المكلف بأفريقيا والشؤون العربية والشرق الأوسط، مسعد بولس، مع وزير الشؤون الخارجية الجزائري، أحمد عطاف، الجمعة بمدينة أنطاليا التركية، حيث أكد بولس في تدوينة "أننا تطرقنا إلى قضايا إقليمية ذات اهتمام مشترك، خاصة مختلف النزاعات والأزمات الإنسانية".

ومن داخل مخيمات تندوف هناك تململ في اتجاه الحل السياسي، حيث أكد محمد يسلم بيسط، الذي تصفه بوليساريو بأنه "وزير خارجيتها"، خلال لقاء مع الصحافيين الإسبان، أن "الحكم الذاتي يمكن أن يكون خيارا قابلاً للنقاش"، لكنه يرفض أن يكون صيغة مفروضة أو نهائية، معتبرا أن "ذلك يمس بحق الصحراويين في اختيار مستقبلهم، وأن المرحلة الحالية تتطلب الاعتماد على المسار التفاوضي والحوار القائم على الشرعية الدولية".

محمد الطيار

دفاع واشنطن عن مركزية الحكم الذاتي يضع حدا لحالة الغموض

وتأتي هذه التصريحات من قادة الجبهة الانفصالية مع تراجع الدعم التقليدي لبوليساريو ولأطروحتها الانفصالية، من ذلك أن دولة مالي التي كانت تُعد من أبرز دول منطقة الساحل دعما للجبهة، أعلنت في الأيام الماضية عن سحب اعترافها بما يُسمى بـ"بوليساريو".

وكانت صحيفة "واشنطن بوست" الأميركية قد أفادت عقب خطوة مالي بأن مبادرة الحكم الذاتي التي يقترحها المغرب لحل نزاع الصحراء باتت تحظى بدعم متزايد على المستويين الأفريقي والأوروبي، ولاسيما أن مجلس الأمن الدولي عزز هذا التوجه في أكتوبر 2025 عندما أصدر قرارا يدعو فيه أطراف النزاع للتفاوض على الحكم الذاتي باعتباره مبادرة "جدية وذات مصداقية وواقعية"، دون الإشارة إلى خيار الاستفتاء الذي كانت تدعو إليه بوليساريو وحلفاؤها.

وتشدد المؤسسات الأميركية على مركزية مبادرة الحكم الذاتي في أي تسوية مستقبلية للنزاع، ويتناسب هذا التوجه مع تحركات داخل الكونغرس الأميركي بخصوص جبهة بوليساريو، حيث دعا عدد من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب خلال الأشهر الأخيرة إلى دراسة تصنيفها منظمة إرهابية، في خطوة تعكس تشددا متزايدا في التعاطي مع هذا الملف.

بعد خمسين عاما من المطاردة.. إسرائيل تثأر من مها أبوخليل

مها أبوخليل ارتبطت مبكرا بمسارات العمل النضالي الداعم للقضية الفلسطينية

صور (لبنان) - **"كل الأشياء تباع وتشترى بالعملة ذاتها، إلا الوطن، يباع بالخيانة ويشترى بالدم"، تلك الكلمات المقتبسة من تشي غيفارا كانت آخر ما كتبته المناضلة اللبنانية مها أبوخليل (80 عاما)، قبل أن تغتالها إسرائيل بقصف على مدينة صور جنوبي لبنان، قبيل بدء وقف إطلاق النار بين تل أبيب وحزب الله.**

من أثينا إلى صيدا.. رحلة نضال لا تمحى

ونعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في بيان مساء السبت، "الرفيقة المناضلة التاريخية والأكاديمية والاجتماعية الدكتورة مها أبوخليل، ابنة بلدة القليلة في قضاء صور" بمحافظة الجنوب.

وقالت إنها "ارتقت إثر العدوان الصهيوني الغادر على مدينة صور مساء (الجمعة) 17 أبريل (نيسان)، قبل دقائق قليلة من إعلان وقف إطلاق النار، بعد استهداف أربعة مبانٍ سكنية سُوّيت بالأرض".

وشددت على أنها "شكّلت نموذجًا للمرأة المناضلة التي جمعت بين الفكر والالتزام الوطني والعمل الاجتماعي والتربوي".

وبالنسبة إلى فلسطين، قالت الجبهة إن مها أبوخليل ارتبطت "مبكرا بمسارات العمل النضالي الداعم للقضية الفلسطينية، وانخرطت في أنشطة الجبهة الشعبية في المجال الخارجي ضمن سياق المرحلة التاريخية في العام 1970".

وفقا لوسائل إعلام لبنانية وفلسطينية وناشطين نعوها، جمعت حياة مها أبوخليل بين "النضال الثوري المبكر" في صفوف التنظيمات الفلسطينية والعمل الاجتماعي والتربوي في مرحلة لاحقة.

وحازت شهادة الدكتوراه في الإعلام، ودرست بجامعات براغ أواخر سبعينات القرن الماضي، وعاشت فترة إلى جانب زوجها الذي شغل منصب سفير العراق في براغ، بحسب الجبهة.

وفي ديسمبر 1969 حاولت مع سامي فوزي عبود وعصام سليم دوسط خطف طائرة تابعة لشركة "العال" الإسرائيلية في مطار أثينا الدولي باليونان، لإبرام صفقة مع تل أبيب تضمن إطلاق سراح أسرى فلسطينيين وعرب في سجونها.

لكن المحاولة لم تنجح، واعتُقل الثلاثة في أثناء محاولتهم الصعود إلى الطائرة التي كانت متجهة إلى روما وعلى متنها 29 راكبًا، ووجهت إليهم تهم من بينها تهمة "حيازة متفجرات بشكل غير قانوني".

وخضعوا لمحاكمة في اليونان، وظهرت خلالها مها أبوخليل وهي بأناقة كاملة وترفع شارة النصر، ثم أُفرج عنهم عام 1970 ضمن صفقة تبادل أسرى بين إسرائيل والجبهة الشعبية.

ومها أبوخليل هي ثاني امرأة تحاول خطف طائرة بعد ليلى خالد التي نفذت عمليتين، الأولى عام 1969 وانتهت بنجاح وأفضت إلى تبادل أسرى، والثانية في 1970، لكنها فشلت ما أدى إلى اعتقالها لشهر، قبل الإفراج عنها في صفقة تبادل.

ولم يقتصر عملها على الجوانب العسكرية والسياسية، إذ شمل أيضا الجانب الإنساني، فقد "عملت لسنوات طويلة في مؤسسات اجتماعية، وكان لها دور أساسي في العلاقات العامة والعمل الاجتماعي والتربوي"، حسب الجبهة.

> **«كل الأشياء تباع وتشترى بالعملة ذاتها، إلا الوطن، يباع بالخيانة ويشترى بالدم»، آخر ما كتبته أبوخليل أخذا عن غيفارا**

ورفضت "مغادرة أرضها رغم القصف والعدوان"، إذ عُرفت وفقا للجبهة "بحضورها الدائم في الجنوب اللبناني، حيث بقيت صامدة في مدينة صور خلال الحروب الإسرائيلية المتكررة".

وبعد مرور يومين على قصف المبنى السكني الجمعة، جرى استخراج جثمانها من تحت الركام.

ابن عمها حسن أبوخليل نعاها عبر منصة فيسبوك السبت، وقال إنه "قبل ساعات من رحيلها، أرسلت كلماتها التي تختصر حياتها وموقفها: كل الأشياء تُباع وتُشترى بالعملة نفسها، إلا الوطن.. قد يُباع بالخيانة.. ولا يُشترى إلا بالدم".

كما كتب الناشط اللبناني د. محمد نقري عبر فيسبوك السبت "كنت انتظر رسالتها الصباحية كل يوم، وكانت قد أرسلت لي صباح الخميس الفائت مقولة مقتبسة من تشي غيفارا "كل الأشياء تباع وتشترى بالعملة نفسها إلا الوطن، قد يباع بالخيانة ولا يشترى إلا بالدم".

في منتصف ليلة الخميس/الجمعة الماضيين، بدأ وقف لإطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله لمدة 10 أيام، قابلة للتجديد، وذلك بعد هجوم إسرائيلي على لبنان استمر 45 يوما، وخلف أكثر من 2294 قتيلا و7 آلاف و544 جريحا وما يزيد على مليون نازح.

وتحتل إسرائيل مناطق في جنوبي لبنان، بعضها منذ عقود والبعض الآخر منذ الحرب السابقة بين أكتوبر 2023 ونوفمبر من العام التالي.

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

الانتقال من الحرب إلى الدبلوماسية: ما التالي بالنسبة لإيران ولبنان وغزة؟

إسرائيل ترفع سقف شروطها: لا تسوية دون نزع سلاح الخصوم

الانتقال من الحرب إلى الدبلوماسية لا يعني نهاية الصراع، بل إعادة تعريف أدواته. فالمكاسب العسكرية التي تحققت على الأرض، سواء في إيران أو غزة أو لبنان، لم تتحول بعد إلى إنجازات سياسية مستقرة، وهو ما يجعل المسار التفاوضي محفوفاً بالتحديات.

واشنطن - تشهد منطقة الشرق الأوسط لحظة دقيقة يتداخل فيها المسار العسكري مع الجهد الدبلوماسي، في محاولة لإعادة صياغة التوازنات بعد جولات عنيفة من الصراع.

ومع تراجع حدة العمليات العسكرية نسبياً في بعض الساحات، تتقدم الدبلوماسية إلى الواجهة، لكن ليس بوصفها بديلاً بسيطاً للحرب، بل كامتداد معقد لها، تحكمه حسابات القوة والضغط والفرص.

وفي هذا السياق، تتقاطع ثلاثة ملفات رئيسية — إيران، لبنان، وغزة — ضمن مشهد تفاوضي متعدد المسارات، تقوده بدرجة كبيرة الولايات المتحدة، وسط رهانات كبرى ونتائج غير مضمونة.

ويرى محللون أن الانتقال من الحرب إلى الدبلوماسية لا يعني نهاية الصراع، بل إعادة تعريف أدواته. فالمكاسب العسكرية التي تحققت على الأرض، سواء في إيران أو غزة أو لبنان، لم تتحول بعد إلى إنجازات سياسية مستقرة، وهو ما يجعل المسار التفاوضي محفوفاً بالتحديات.

وفي الحالة الإسرائيلية، يبدو هذا الانتقال أكثر تعقيداً. فتل أبيب، التي عززت مقاربتها الأمنية بعد هجمات السابع من أكتوبر، لم تعد ترى في الردع التقليدي أو التفاهمات غير المباشرة أدوات كافية لضمان أمنها. بل باتت تميل إلى استخدام القوة العسكرية بشكل استباقي لمنع تشكل التهديدات.

وينعكس هذا التحول مباشرة على موقفها من الدبلوماسية، حيث تضع شروطاً مرتفعة لأي تسوية، خصوصاً في ما يتعلق بنزع سلاح خصومها، مثل حزب الله وحماس، إضافة إلى البرنامج النووي الإيراني.

غير أن هذه الشروط تصطدم بواقع ميداني وسياسي مختلف. فهذه الأطراف، رغم الضربات التي تلقتها، لا تزال تحتفظ بقدراتها الأساسية، بل وتراهن على ما يمكن تسميته بـ"المرونة غير المتكافئة"، أي القدرة على امتصاص الضربات وتكبيد الخصم كلفة مستمرة دون الدخول في مواجهة تقليدية شاملة. وهذا ما يجعل تحقيق اختراق دبلوماسي حقيقي أمراً بالغ الصعوبة.

وفي الملف الإيراني، تتجلى هذه التعقيدات بوضوح. فالمفاوضات بين واشنطن وطهران تعود إلى الواجهة، في سياق يشبه إلى حد كبير جولات سابقة شهدتها العلاقات بين الطرفين على مدى عقود. لكن الفارق اليوم يكمن في تداخل المسار العسكري مع الدبلوماسي بشكل غير مسبوق. فالضغوط الاقتصادية، والحصار، والعمليات العسكرية، كلها تُستخدم كأدوات تفاوضية تهدف إلى دفع إيران إلى تقديم تنازلات في برنامجها النووي.

> المكاسب على الأرض لم تتحول إلى إنجازات سياسية مستقرة، ما يجعل المسار التفاوضي محفوفا بالتحديات

ورغم ذلك، لا يبدو أن طهران مستعدة للتخلي عن هذا البرنامج بسهولة. فهي تنظر إليه كضمانة إستراتيجية، وليس مجرد ورقة تفاوض. كما أن التجربة السابقة مع الإدارات الأميركية المختلفة تعزز قناعة لديها بأن الوقت يمكن أن يكون في صالحها، وأن تغيير موازين القوى السياسية في واشنطن قد يفتح لها هامشاً أكبر للمناورة.

وفي هذا السياق، تبدو الإدارة الحالية برئاسة دونالد ترامب أمام معادلة صعبة: كيف يمكن تحقيق اختراق دبلوماسي دون الظهور بمظهر المتراجع، وكيف يمكن استخدام الضغط دون الانزلاق إلى تصعيد غير محسوب.

وينعكس هذا التوازن الدقيق في التذبذب النسبي في المواقف الأميركية، بين التشدد في المطالب والانفتاح على حلول مرحلية.

وأما في غزة، فالمشهد لا يقل تعقيداً. فعلى الرغم من النجاحات العسكرية التي تحققت ضد حماس، لا تزال الحركة تسيطر على جزء كبير من القطاع، ما يطرح تساؤلات حول جدوى المقاربة العسكرية وحدها. إذ إن غياب بديل سياسي واضح وفعّال يترك فراغاً قد يعيد إنتاج الأزمة، حتى في حال تراجع القدرات العسكرية للحركة.

ومن هنا، تبرز أهمية الربط بين إعادة الإعمار ونزع السلاح، كأداة ضغط دبلوماسية. لكن هذا الربط يواجه تحديات عملية، أبرزها كيفية تنفيذ نزع السلاح في بيئة معقدة، وضمان عدم عودة التسلح بطرق غير مباشرة. كما أن إشراك أطراف مثل السلطة الفلسطينية أو قوى محلية أخرى يتطلب توافقات إقليمية ودولية لا تزال بعيدة المنال.

وفي لبنان، يأخذ المشهد بعدا مختلفا، لكنه لا يقل تعقيدا. فالمفاوضات بين بيروت وتل أبيب، برعاية أميركية، تمثل تطورا مهما في حد ذاته، خاصة في ظل تاريخ طويل من التوتر. غير أن جوهر هذه المفاوضات يتمحور حول مسألة نزع سلاح حزب الله، وهو ملف شديد الحساسية داخليا وإقليميا.

ورغم الضربات التي تلقاها الحزب، فإنه لا يزال يمتلك نفوذا سياسيا واجتماعيا واسعا، خصوصا داخل البيئة الشيعية. لكن المؤشرات الأخيرة توحي بوجود تآكل نسبي في هذا النفوذ، نتيجة الكلفة البشرية والاقتصادية للصراع. وهذا ما قد يفتح نافذة — وإن كانت ضيقة — أمام الدولة اللبنانية لتعزيز سيادتها.

غير أن نجاح هذا المسار يتطلب دوراً فاعلاً من الجيش اللبناني، بوصفه الجهة الوحيدة القادرة نظرياً على تنفيذ عملية نزع السلاح. كما يتطلب دعماً دولياً وإقليمياً، لا يقتصر على الجانب العسكري، بل يشمل أيضاً إعادة بناء المؤسسات وتعزيز الاستقرار الاقتصادي.

وفي هذا الإطار، تلعب دول مثل المملكة العربية السعودية دوراً مهماً في دعم الاستقرار اللبناني، بينما تظل إيران لاعباً أساسياً من خلال دعمها لحزب الله. وهذا التداخل الإقليمي يجعل من الملف اللبناني جزءاً لا يتجزأ من الصراع الأوسع في المنطقة. وما يجمع بين هذه الملفات الثلاثة هو وجود ما يمكن تسميته بـ"العنصر الغائب" في العملية التفاوضية. ففي إيران، يغيب البعد المرتبط بالشعب الإيراني ومستقبله السياسي.

وفي غزة، لا يوجد تصور واضح للبديل عن حماس. وفي لبنان، لا يزال هناك غموض حول التوافق الداخلي على مسألة نزع سلاح حزب الله. هذه الفجوات تعيق تحقيق تقدم حقيقي، حتى في ظل وجود إرادة دولية للدفع نحو التسوية.

ولا يمكن النظر إلى الدبلوماسية الحالية كحل سحري ينهي الصراعات، بل كمسار طويل ومعقد يتطلب صبرا إستراتيجيا. فالقوة العسكرية، رغم أهميتها، لا تكفي وحدها لفرض حلول دائمة، كما أن التفاوض دون أدوات ضغط يفقد فعاليته. ومن هنا، تبدو المقاربة الأكثر واقعية هي تلك التي تدمج بين الضغط العسكري والاقتصادي من جهة، والانخراط الدبلوماسي من جهة أخرى. لكن نجاح هذه المقاربة يبقى مرهوناً بعدة عوامل: وضوح الأهداف، تماسك المواقف، القدرة على إدارة التناقضات الداخلية، والتعامل مع التعقيدات الإقليمية والدولية.

وفي ظل هذه المعطيات، يبقى مستقبل المنطقة مفتوحاً على احتمالات متعددة، تتراوح بين تسويات تدريجية وهشّة، أو عودة إلى دوامة التصعيد.

وهكذا، يقف الشرق الأوسط اليوم عند مفترق طرق حاسم، حيث لا تزال الحرب تلقي بظلالها الثقيلة على مسار الدبلوماسية، وحيث لا يمكن لأي طرف أن يضمن النتائج مسبقاً. إنها لحظة اختبار حقيقية، ليس فقط لقوة الدول، بل أيضاً لقدرتها على تحويل الصراع إلى فرصة لإعادة بناء الاستقرار.

لحظة انتقال

آليات أممية عاجزة أمام شبكات تهريب النفط في ليبيا

مجلس الأمن الدولي يمدد القيود المفروضة على الوقود الليبي حتى أغسطس 2027

نيويورك - أعاد قرار مجلس الأمن الدولي القاضي بتمديد القيود والتدابير المفروضة على الوقود الليبي حتى أغسطس 2027 تسليط الضوء على واحدة من أكثر القضايا تعقيداً في المشهد الليبي، وهي ظاهرة تهريب النفط ومشتقاته. ورغم أن القرار يأتي في سياق تعزيز الأدوات القانونية والرقابية للحد من هذه الظاهرة، فإنه يفتح في الوقت ذاته باب التساؤلات حول مدى قدرة المقاربة الدولية الحالية على معالجة جذور الأزمة، وليس فقط مظاهرها.

فمنذ عام 2011، ومع انهيار منظومة الدولة المركزية، تحوّل النفط الليبي من مورد سيادي خاضع لإدارة مؤسسات الدولة إلى عنصر تنافس بين قوى محلية متعددة، بعضها شرعي وبعضها الآخر يعمل خارج الأطر الرسمية. هذا التحول أفرز اقتصادا موازيا قائما على استغلال الفجوات الأمنية والمؤسسية، حيث أصبحت عمليات تهريب الوقود جزءا من شبكة مصالح معقدة تتداخل فيها السياسة مع الأمن والاقتصاد.

القرار الأممي الجديد يمنح الدول الأعضاء صلاحيات أوسع لتفتيش السفن المشتبه بها، واعتراض الشحنات غير القانونية، وفرض قيود على التعاملات المالية المرتبطة بالنفط المهرب. كما يجدد الآليات التي تسمح بإعادة الشحنات إلى ليبيا، في محاولة لإغلاق الدائرة أمام شبكات التهريب. غير أن هذه الأدوات، رغم أهميتها، تبقى في جوهرها أدوات رقابية خارجية تعتمد على تعاون دولي لا يكون دائماً بالقدر الكافي من التنسيق والفاعلية.

وتُظهر التجربة السابقة منذ اعتماد آلية مكافحة تهريب الوقود في عام 2014 أن هذه الإجراءات لم تحقق نتائج حاسمة. فقد استمرت عمليات التهريب، بل وتطورت من حيث التنظيم والوسائل، ما يعكس قدرة هذه الشبكات على التكيف مع القيود المفروضة. ويعني ذلك أن المقاربة القائمة على الردع القانوني والرقابة البحرية، رغم ضرورتها، ليست كافية بمفردها لاحتواء الظاهرة.

أحد أبرز أوجه القصور يتمثل في أن التهريب لم يعد نشاطا هامشيا أو فرديا، بل أصبح جزءا من منظومة اقتصادية موازية. هذه المنظومة تستفيد من عدة عوامل، في مقدمتها الفارق الكبير بين أسعار الوقود المدعوم محليا والأسعار في الأسواق الإقليمية، وهو ما يخلق حافزا ماليا ضخما يجعل من التهريب نشاطا بالغ الربحية. وفي ظل ضعف الرقابة الداخلية، تتحول هذه الأرباح إلى مصدر تمويل لشبكات منظمة، يرتبط بعضها مباشرة بمجموعات مسلحة.

هذا الارتباط بين التهريب والبنية الأمنية الهشة يمثل تحديا مضاعفا، إذ لا يتعلق الأمر فقط بخسائر مالية، بل أيضا بإعادة إنتاج الفوضى. فالعائدات الناتجة عن التهريب تُستخدم في تمويل أنشطة مسلحة، ما يكرّس حالة عدم الاستقرار ويُضعف فرص بناء مؤسسات دولة قوية. وهكذا يدخل الاقتصاد غير المشروع في حلقة تغذية عكسية مع الأزمة الأمنية، حيث يعزز كل منهما الآخر.

من زاوية أخرى، يبرز الانقسام السياسي كعامل حاسم في استمرار هذه الظاهرة. فوجود حكومتين واحدة في الغرب وأخرى في الشرق وتعدد مراكز القرار يخلقان بيئة مثالية لتفكك منظومة الرقابة. في مثل هذا السياق تصبح الحدود والموانئ نقاط ضعف بدلاً من أن تكون نقاط سيطرة، وتتحول الأجهزة الأمنية إلى كيانات متنافسة بدلاً من أن تكون منظومة متكاملة. هذا الواقع يجعل من الصعب تطبيق أي سياسة وطنية موحدة لمكافحة التهريب، مهما كانت مدعومة دوليا.

كما أن التحدي لا يقتصر على الداخل الليبي فقط، بل يمتد إلى البعد الإقليمي والدولي. فشبكات التهريب لا تعمل في فراغ، بل تعتمد على مسارات تمتد عبر البحر المتوسط والحدود البرية، وتتقاطع مع أسواق سوداء في دول أخرى. وهذا يعني أن جزءاً من المشكلة يرتبط بضعف التنسيق الدولي، أو بتفاوت مستويات الالتزام بين الدول في تطبيق القرارات الأممية.

وفي هذا الإطار تطرح مسألة "اقتصاد العقوبات" نفسها كعامل إضافي، إذ قد تجد بعض الأطراف في القيود المفروضة فرصة لإعادة تشكيل شبكاتها بطرق أكثر تعقيدا، بما في ذلك استخدام شركات واجهة، وتغيير أعلام السفن، والتلاعب بوثائق الشحن. هذه الأساليب تجعل من عملية التتبع أكثر صعوبة، وتحد من فاعلية الإجراءات التقليدية.

> استمرار تهريب الوقود رغم القرارات الأممية يعكس فشل الآليات الدولية في وقف الظاهرة، بسبب ضعف التنفيذ

ورغم إعلان السلطات الليبية دعمها للجهود الدولية، فإن قدرتها على ترجمة هذا الدعم إلى نتائج ملموسة تبقى محدودة. فضعف الإمكانات، سواء على مستوى البنية التحتية أو الموارد البشرية، يشكل عائقا كبيرا أمام فرض رقابة فعالة. كما أن التداخل بين السلطات المدنية والعسكرية، وغياب تسلسل قيادي واضح، يزيدان من تعقيد المشهد.

من جهة أخرى، لا يمكن إغفال البعد الاجتماعي للظاهرة. ففي بعض المناطق أصبح التهريب مصدرا رئيسيا للدخل، خاصة في ظل تراجع فرص العمل الرسمية. وهذا يطرح معضلة إضافية، إذ أن أي محاولة لمكافحة التهريب دون توفير بدائل اقتصادية قد تواجه مقاومة محلية، أو تؤدي إلى تفاقم الأوضاع المعيشية.

كل هذه العوامل تشير إلى أن المشكلة تتجاوز كونها مسألة أمنية أو قانونية، لتصبح أزمة بنيوية تتطلب معالجة متعددة الأبعاد. فمكافحة تهريب الوقود لا يمكن أن تنجح دون إصلاح منظومة الدعم، وتعزيز الشفافية في إدارة الموارد، وبناء مؤسسات أمنية موحدة، إلى جانب تفعيل التعاون الإقليمي بشكل أكثر فاعلية.

وفي ضوء ذلك، يبدو أن تمديد القيود حتى عام 2027 يمنح المجتمع الدولي مزيدا من الوقت، لكنه لا يضمن بالضرورة تحقيق نتائج مختلفة ما لم تتغير المقاربة نفسها. فالمطلوب ليس فقط تشديد الرقابة، بل أيضا معالجة البيئة التي تسمح بوجود التهريب أصلاً.

وفي المحصلة، يعكس ملف تهريب الوقود في ليبيا حالة نموذجية لتشابك الأزمات في الدول التي تمر بمرحلة انتقالية. فهو نتاج لتداخل العوامل السياسية والأمنية والاقتصادية، ويعكس في الوقت ذاته حدود التدخل الدولي عندما لا يقترن بإرادة داخلية موحدة للإصلاح. وبينما تستمر الجهود الأممية في محاولة احتواء الظاهرة، يبقى الحل الحقيقي مرهونا بقدرة الليبيين أنفسهم على إعادة بناء دولتهم على أسس مؤسسية قادرة على حماية مواردها وضمان توزيعها بشكل عادل.

نزيف مستمر

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

حرب الشرق الأوسط تكشف تآكل فاعلية التمويل العالمي

الأزمة تحفز على المزيد من الروابط التجارية الإقليمية وخطط تنويع مصادر الطاقة

النقاشات أحيانا تبدو عقيمة

تكشف الحرب في الشرق الأوسط عن أكثر من مجرد أزمة جيوسياسية جديدة، فهي تضع النظام المالي العالمي أمام اختبار مباشر لحدود فعاليته وقدرته على امتصاص الصدمات. فبين تقلبات أسعار الطاقة، واضطراب سلاسل الإمداد، وتزايد المخاطر على الممرات البحرية، تبدو أدوات التمويل الدولي التقليدية أقل قدرة على مواكبة سرعة الأحداث وتعقيدها.

واشنطن - واجه قادة التمويل العالمي، الذين تأثروا بشدة بأخبار الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران، خلال الأسبوع الماضي، عجزهم عن تخفيف الأضرار الاقتصادية الناجمة عن الصدمات الجيوسياسية المتزايدة.

وقد أدى ذلك الوضع إلى إدراكهم، في نهاية المطاف، أن الاعتماد على القيادة الأميركية لحل الأزمات لم يعد الضمانة التي كان عليها لفترة طويلة.

وفي اجتماعات الربيع لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في واشنطن، تراوحت آراء المشاركين بين التشاؤم إزاء تدهور التوقعات الاقتصادية العالمية بسبب تفاقم صدمات أسعار الطاقة وإمداداتها، والتفاؤل الحذر مع ظهور بوادر إعادة فتح إيران لمضيق هرمز والسماح باستئناف تدفق النفط والغاز والأسمدة وغيرها من السلع.

وبحلول السبت، بدأ هذا التفاؤل بالتلاشي وسط هجمات جديدة على الملاحة البحرية بعدما أعلنت إيران إعادة إغلاق مضيق هرمز، الممر المائي الإستراتيجي للتجارة العالمية.

وتعهد صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بتقديم مساعدات تمويلية جديدة تصل إلى 150 مليار دولار للدول النامية الأكثر تضررًا من الصدمة الهائلة في أسعار الطاقة، واحتفلا باستئناف تعاونهما مع الحكومة الفنزويلية المؤقتة بعد توقف دام سبع سنوات.

وحذرت المؤسستان المانحتان، الدول من تكديس النفط، ومن الإفراط في دعم أسعار الوقود بشكل مكلف وغير موجه. لكن في نهاية المطاف، لم يكن بوسعهما فعل الكثير سوى متابعة التصريحات الصادرة من طهران والبيت الأبيض.

جوش ليبسكي

أهم القرارات المتعلقة بالاقتصاد العالمي لا تُتخذ هنا

محمد الجدعان

لن تتحسن التوقعات ما لم يُفتح مضيق هرمز بالكامل

وقال جوش ليبسكي، رئيس قسم الاقتصاد الدولي في المجلس الأطلسي، متحدثًا عن مقر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي إن "في الواقع، بعض أهم القرارات المتعلقة بالاقتصاد العالمي لا تُتخذ هنا".

وأضاف لوكالة رويترز إن "أهم تطور في الاقتصاد العالمي حدث بين الولايات المتحدة وإيران". وتابع "نأمل أن يكون هذا نبأ سارا، وسننتظر لنرى".

وقال كيفن تشيكا أورامـا، كبير الاقتصاديين في بنك التنمية الأفريقي، إن "أزمة الشرق الأوسط فرضت ضرورة ملحة جديدة على الدول الأفريقية لتعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية الإقليمية".

وأضاف أن الحرب تدفع إلى "العمل على مصادر الطاقة البديلة، وتوسيع قواعدها الضريبية المحلية، والاستفادة من احتياطيات الغاز الطبيعي الهائلة".

> **150**
> **مليار دولار تعهد كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بتقديمها للاقتصادات النامية**

وأوضح أمام لجنة ضمت كبار الاقتصاديين من المؤسسات متعددة الأطراف قائلا "أصبحت التوترات الجيوسياسية هي الوضع الطبيعي الجديد، وأصبح عدم اليقين في صنع السياسات أمرا حتميا".

ليست حربنا

أعرب وزراء المالية ومحافظو البنوك المركزية الكبرى وغيرهم من المسؤولين الحاضرين في الاجتماعات عن استيائهم من جرّهم إلى كارثة اقتصادية أخرى نتيجة لتصرفات ترامب.

وفي اجتماعات مغلقة، وجّه المسؤولون، ولاسيما من أوروبا، رسالة واضحة إلى الولايات المتحدة مفادها أن واشنطن بحاجة إلى اتخاذ إجراءات لإعادة فتح مضيق هرمز، وفقًا لما ذكره مسؤول مالي رفيع المستوى حضر الاجتماعات.

أما في العلن، فكانت التصريحات أكثر دبلوماسية وأقلّ توجيهًا للاتهامات، وهو أمر معتاد في العرف الدبلوماسي أو حين مواجهة وسائل الإعلام.

وقال وزير المالية الفرنسي، رولان ليسكور، للصحفيين إنّ "عقدة هذا النزاع هي مضيق هرمز. نحن بحاجة إلى فتحه، ولكن ليس بأي ثمن. لا أريد أن أدفع دولارًا واحدًا للعبور عبر مضيق هرمز".

وقالت ريتسيليتسو أديليد ماتلانيان، وزيرة المالية والتخطيط التنموي في ليسوتو، خلال جلسة نقاش مع وزراء أفارقة "لقد أدت الصدمات المتتالية، بما فيها هذه الحرب، إلى إرباك خطط الاقتصادات النامية، وبالكاد نجد وقتًا لالتقاط أنفاسنا".

وأضافت "بالنسبة للاقتصادات الصغيرة والمنفتحة والهشة مثل ليسوتو، فقد فرضت هذه الصدمات ضغوطًا هائلة على المالية العامة والأسعار وكل شيء".

وقالت ماتلانيان إن إدارة الديون أصبحت الآن معقدة للغاية، وأن التوترات "أدت إلى شعور بضرورة إعادة النظر في السياسات والتفكير بشكل مختلف". وأضافت لرويترز "من المحبط التعامل مع هذا الوضع".

على الرغم من انتعاش أسواق الأسهم والانخفاض الحاد في أسعار العقود الآجلة للنفط الجمعة الماضي مع إغلاق التعاملات الأسبوعية، لخص وزير المالية السعودي، محمد الجدعان، حالة العديد من المسؤولين في هذه الاجتماعات.

وأفاد بأنه لن يطمئن إلى توقع تحسن الأوضاع الاقتصادية حتى تعود ناقلات النفط إلى حرية الملاحة في المضيق، مع انخفاض أسعار التأمين وأسعار الطاقة الفعلية.

وقال الجدعان في مؤتمر صحفي "إذا فُتحت المياه، أعتقد أن ذلك سيُحدث تغييرًا في السيناريو بالنسبة لي".

وبمجرد أن أصدر صندوق النقد خفضًا طفيفًا في توقعاته للنمو العالمي لعام 2026 إلى 3.1 في المئة وفقًا لأكثر السيناريوهات تفاؤلًا من بين ثلاثة سيناريوهات وضعها، أشار إلى أن التوقعات قديمة وأن اقتصاد العالم يتجه نحو سيناريو نمو أكثر تشاؤمًا بنسبة 2.5 في المئة فقط.

وذكر أحدث تقرير لآفاق الاقتصاد العالمي الصادر عن الصندوق أن حربًا طويلة الأمد قد تدفع الاقتصاد العالمي إلى الركود.

صدمة تلو الأخرى

قبل أن تشن الولايات المتحدة وإسرائيل هجماتهما على إيران في نهاية فبراير الماضي، كان الاقتصاد العالمي قد بدأ للتو بالتعافي من صدمة العام الماضي الناجمة عن موجة الرسوم الجمركية الباهظة التي فرضها الرئيس دونالد ترامب على شركائه التجاريين العالميين.

وكانت المناقشات حول التوترات التجارية أقل حدة في اجتماعات هذا العام، وكذلك الحرب الروسية على أوكرانيا، على الرغم من تعهد وزراء مالية مجموعة السبع بمواصلة الضغط على روسيا.

لكن سلسلة الصدمات المتواصلة، التي بدأت بجائحة كوفيد – 19 في عام 2020، والحرب الروسية – الأوكرانية في عام 2022، تُعلّم الدول أن الولايات المتحدة لم تعد "قائدة" النظام الدولي، وأنها لن تقدم بالضرورة حلولًا، كما قال ليبسكي.

وأطلق وزير الخزانة الأميركي سكوت بيسنت، الجمعة، مبادرة تدعو دول مجموعة العشرين وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي إلى اتخاذ إجراءات منسقة لضمان الوصول الكافي إلى الأسمدة في ظل اضطرابات الإمدادات من دول الخليج.

لكن بعد مرور سبعة أسابيع على اندلاع الحرب، لن يُسهم ذلك إلا قليلاً في تخفيف النقص وارتفاع الأسعار بالنسبة للمزارعين الذين يزرعون الآن محاصيل الربيع في جميع أنحاء نصف الكرة الشمالي.

كيف أفلت برميل النفط من صدمة الـ150 دولارا

رياض بوعزة
كاتب وصحافي تونسي

يُفترض في الحروب، خصوصًا في منطقة بحجم وتأثير الشرق الأوسط، أن تترك بصمتها سريعًا على أسواق الطاقة. هذه قاعدة كادت أن تتحول إلى مسلّمة اقتصادية: توتر في الخليج يساوي قفزة حادة في أسعار النفط. لكن ما حدث خلال حرب إيران الأخيرة جاء ليكسر هذا التصور التقليدي، أو على الأقل ليضعه تحت مراجعة جدية.

السوق التي كانت تُصاب بالذعر عند أول إشارة خطر، بدت هذه المرة أكثر تماسكًا، بل وأكثر برودة مما توقعه كثيرون، رغم تصاعد الخطاب السياسي وارتفاع منسوب المخاطر قياسا بأحداث وتوترات سابقة.

السؤال هنا ليس لماذا ارتفعت الأسعار، فهي ارتفعت فعلًا، بل لماذا توقفت قبل أن تبلغ ذلك الحاجز النفسي الثقيل: 150 دولارًا للبرميل. هذا الرقم لم يكن مجرد تقدير عابر، بل كان حاضرًا بقوة منذ الأيام الأولى للتصعيد. فقد لمّح سعد الكعبي، وزير الدولة القطري لشؤون الطاقة، في بداية الحرب إلى أن الأسعار قد تصل إلى هذا المستوى في حال تفاقم الأزمة.

تصريح الوزير جاء بعد يوم واحد فقط من تقديرات أكثر تحفظًا صدرت عن مؤسسات مالية كبرى مثل بنك أوف أميركا وبنك غولدمان ساكس، التي رأت أن السقف الأقصى الواقعي لن يتجاوز 120 دولارًا للبرميل. القراءة السياسية لكلام الكعبي كانت نوعا من الضغط على أطراف الحرب لوقفها، غير أن الواقع الاقتصادي وانعكاسات ذلك كان مختلفا بعض الشيء.

التباين المبكر في التوقعات يعكس طبيعة المرحلة: ضبابية عالية، وميلا طبيعيا إلى تضخيم السيناريوهات الأسوأ. لكن ما حدث لاحقًا كشف فجوة واضحة بين الخطاب والتسعير الفعلي. فبدلًا من الانفلات، بقيت الأسعار ضمن نطاق يمكن وصفه بالمضبوط، حيث بلغ خام برنت في ذروة التوتر نحو 100 إلى 139 دولارا للبرميل.

لفهم هذا التباين، لا بد من العودة إلى التحولات العميقة في سوق النفط. فالعالم الذي كان يعتمد بشكل شبه مطلق على نفط الشرق الأوسط، لم يعد كذلك اليوم. صعود إنتاج النفط الصخري، خصوصًا في الولايات المتحدة والمخزونات الأميركية الهائلة وإعلان وكالة الطاقة الدولية عن ضخ مجموعة من أعضائها بعض الإمدادات في الأسواق، أعادت مجتمعة رسم خريطة العرض العالمي.

لذا يمكن أن نستنتج أنه لم يعد أي اضطراب إقليمي – حرب الشرق الأوسط في هذه الحالة والحرب بين روسيا وأوكرانيا التي اندلعت في عام 2022 كأمثلة حديثة – كفيلًا بإحداث صدمة شاملة، بل أصبح جزءًا من معادلة أوسع يمكن امتصاصها جزئيًا عبر مصادر بديلة.

> **التباين المبكر في التوقعات يعكس طبيعة المرحلة التي تتضمن ضبابية عالية، وميلا طبيعيا إلى تضخيم السيناريوهات الأسوأ، لكن ما حدث لاحقًا كشف فجوة واضحة بين الخطاب والتسعير الفعلي**

لكن العامل الأهم ربما يكمن في سلوك المنتجين أنفسهم. فدول كارتل أوبك+ باتت تدرك أن الارتفاع المفرط في الأسعار ليس بالضرورة مكسبًا صافيا. بلوغ مستويات مثل 150 دولارًا قد يحقق إيرادات فورية، وقد اقترب فعليا مرتين من هذا الرقم طيلة حرب الخمسين يوميا، الأولى بعد أسبوع من بداية الحرب عند 139 دولارا لخام برنت، والثانية في منتصف أبريل حيث بلغت العقود الفورية لخامات بحر الشمال 148 دولارا للبرميل. ووضع كهذا يهدد بتسريع التحول نحو الطاقة البديلة، ويضعف الطلب على المدى المتوسط. لذلك، يبدو أن هناك حرصًا ضمنيًا على إبقاء الأسعار ضمن نطاق مربح، دون الانزلاق إلى مستويات صادمة.

في المقابل، لم تعد الأسواق المالية تتفاعل مع التصريحات بنفس الحدة التي كانت عليها سابقا. فبينما قد تحمل تصريحات مسؤولين أو توقعات بنوك استثمارية وزنا إعلاميا كبيرا، فإن التسعير الفعلي أصبح أكثر ارتباطًا بالبيانات الملموسة. لم ترَ الأسواق تعطلاً واسعًا ومستدامًا في الإمدادات، ولم يحدث إغلاق فعلي طويل لممرات حيوية مثل مضيق هرمز، وهو ما جعلها تتعامل مع المخاطر باعتبارها احتمالات، لا وقائع.

كما أن الطلب العالمي لم يكن في وضع يسمح بامتصاص صدمة سعرية كبرى. فالنمو الاقتصادي في عدة مناطق رئيسية ظل دون التوقعات، في وقت تتقدم فيه كفاءة الطاقة، وتتوسع فيه بدائل مثل السيارات الكهربائية والطاقة المتجددة. هذا الواقع يضع سقفًا طبيعيًا للأسعار، حتى في ظل التوترات.

من زاوية أخرى تبدو لافتة، ساهمت البنية التحتية المتطورة لسوق الطاقة في تقليل أثر أي اضطراب حتى مع تضرر منشآت كثيرة في منطقة الشرق الأوسط بسبب الحرب، والقدرة على إعادة توجيه الشحنات، وأيضا توفر المخزونات الإستراتيجية، وسرعة استجابة المنتجين، كلها عوامل حدّت من احتمالات حدوث نقص حاد يدفع الأسعار إلى القفز.

يبدو أن رقم 150 دولارًا لم يكن سوى انعكاس لحالة القلق أكثر منه قراءة دقيقة لتوازنات السوق. حتى سقف الـ120 دولارًا، الذي طرحته مؤسسات مثل بنك أوف أميركا وغولدمان ساكس، تحقق لفترة وجيزة ارتبط بضجيج التصريحات الصادرة خصوصا من الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ما يعزز فكرة أن السوق باتت أكثر تعقيدًا وأقل قابلية للانقياد وراء السيناريوهات القصوى.

ما تكشفه هذه التجربة، في النهاية، هو أن سوق النفط دخلت مرحلة جديدة من النضج النسبي. لم تعد الحروب وحدها كافية لإشعال الأسعار، كما لم تعد التوقعات المتشائمة كافية لدفعها نحو القمم. نحن أمام سوق تُحكمها شبكة من العوامل المتداخلة، حيث تتقاطع السياسة مع الاقتصاد، في معادلة تجعل الوصول إلى 150 دولارًا ممكنًا نظريًا، لكنه بعيد عمليًا ما لم تتوافر شروط استثنائية.

ربما لم يصل النفط إلى هذا الرقم هذه المرة إلا في التعاملات الفورية بالنظر إلى حساسية تداول سعر الخامات في ظل أي توتر جيوسياسي مهما كان مداه، لكن الأهم أن الطريق إليه لم يعد كما كان: لم يعد قصيرًا ولا مباشرًا، بل أصبح مليئًا بالحواجز التي تفرضها توازنات جديدة، في عالم طاقة لم يعد يستجيب بسهولة لصدمات الماضي.

العلامات الآسيوية تفرض هيمنتها على سوق السيارات التونسي

تونس - فرضت العلامات الآسيوية، خصوصًا القادمة من كوريا الجنوبية واليابان والصين، حضورها بشكل متزايد في سوق السيارات التونسي على حساب العلامات الأوروبية التقليدية التي كانت تهيمن تاريخيًا على تجارة القطاع.

ويعكس هذا التحول تغيرًا في أولويات المستهلكين التونسيين، الذين أصبحوا يميلون بشكل أكبر نحو المركبات ذات الأسعار التنافسية وتكاليف الصيانة المنخفضة.

كما أن التطور الملحوظ في جودة التصميم والتجهيزات لدى العديد من العلامات الآسيوية، جعلها خيارًا أكثر جاذبية في ظل الضغوط الاقتصادية وارتفاع كلفة المعيشة.

وتواجه العلامات الأوروبية تحديات متصاعدة تتعلق بارتفاع الأسعار وتكاليف الاستيراد، إضافة إلى تغيرات في سلاسل التوريد العالمية، ما فسح المجال أمام صعود قوي للسيارات الآسيوية.

وبين هذا التحول في البنية الاستهلاكية والتغيرات في ديناميكيات السوق، تبدو هيمنة العلامات الآسيوية نتيجة مسار طويل من إعادة تشكيل ذوق المستهلكين ومعايير الاختيار في السوق.

وتشير أحدث الأرقام التي أوردتها وكالة الأنباء التونسية الرسمية الأحد إلى أن السوق استوعب خلال الربع الأول من هذا العام أكثر من 21.3 ألف مركبة جديدة، مقابل 17.4 ألف مركبة على أساس سنوي.

ووفق بيانات الغرفة الوطنية لوكلاء ومصنعي السيارات، التي تتبع الاتحاد التونسي للتجارة والصناعة (اتحاد أرباب الأعمال)، نمت مبيعات التجار بمقدار 22 في المئة بين يناير ومارس بمقارنة سنوية.

وتظهر الإحصائيات أن وكلاء البيع المعتمدين روجوا إلى غاية أواخر مارس أكثر من 14.46 ألف سيارة قياسا مع 11.86 ألف سيارة قبل عام.

وبالمقابل واصلت عمليات بيع السيارات في السوق الموازي تطورها بوتيرة قوية من نسق بيع الوكلاء المعتمدين، إذ تم بيع 6869 سيارة بمختلف أنواعها وأصنافها مقابل 5579 عربة في أواخر مارس من سنة 2025 بنمو وصل إلى 23.1 في المئة.

> **22**
> **في المئة نسبة نمو المبيعات خلال الربع الأول من 2025 على أساس سنوي، وهيونداي تتصدر المنافسة**

وعلى مستوى العلامات المروجة من طرف الوكلاء خلال الربع الأول استحوذت العلامات الآسيوية على المراتب الثلاث الأولى في إجمالي المبيعات.

الأولى بلا منازع

دعاية حزب الله تستعيد الناصرية: خلّي السلاح صاحي

حزب الله يستلهم دعاية حرب تموز 2006 في محاولة لتسويق نفسه عربيا وتجاوز قاعدته الشيعية

أنقاض وطن

يعتمد حزب الله على أغنية مصرية وطنية كلاسيكية في حملاته الإعلامية الأخيرة وسط التوترات الإقليمية، في إطار دعاية حربية أوسع تستعيد رموز الناصرية لتعزيز سردية "المقاومة".

بيروت - لجأ حزب الله في لبنان بشكل متزايد إلى أغنية "خلّي السلاح صاحي"، وهي أغنية وطنية مصرية تعود إلى عقود مضت ضمن رسائله الإعلامية وفعالياته العامة، مستخدماً إياها كخلفية موسيقية لفيديوهات ومسيرات لإثارة مشاعر المقاومة واليقظة ضد إسرائيل.

وأغنية "خلّي السلاح صاحي" التي أداها المطرب المصري عبدالحليم حافظ عام 1968 خلال حرب الاستنزاف، تحمل كلمات تحث على الاستعداد العسكري الدائم. ومن كلماتها "خلّي السلاح صاحي صاحي صاحي... لو نامت الدنيا صحت مع سلاحي... ينادي يا ثوار عدونا غدار".

كتب كلمات الأغنية أحمد شفيق كامل، ولحنها كمال الطويل. وارتبطت أصلاً بمواجهات مصر مع إسرائيل في أواخر الستينات، وأعيد إحياؤها في سياقات عربية مختلفة على مر العقود.

يقول محللون إن مثل هذه الاستعارات الثقافية تساعد حزب الله على تقديم صورة قومية عربية تتجاوز قاعدته الشيعية، رغم عمله ضمن "محور المقاومة" الإيراني. وابتعدت السلطات المصرية تاريخيا عن أي ربط مباشر، رغم بقاء الأغنية محبوبة في الذاكرة الشعبية.

> هذا النهج يحول حزب الله من حركة مقاومة شيعية لبنانية إلى «حركة عربية قومية» تتجاوز الحدود الطائفية

واستخدمت قنوات تابعة لحزب الله ومؤيدوه الأغنية في مقاطع حديثة تجمع بين لقطات أرشيفية مصرية عسكرية (مثل عبور قناة السويس وحرب أكتوبر) وصور معاصرة من جنوب لبنان، وفقاً لفيديوهات منتشرة على وسائل التواصل الاجتماعي ورصدتها جهات تحليل. يعكس هذا الاستخدام جهود الحزب للاستفادة من المشاعر القومية العربية الأوسع.

ويُعد توظيف مثل هذه الأغاني جزءاً من إستراتيجية إعلامية حربية متطورة لحزب الله، تعتمد على مزج الرموز التاريخية العربية مع سردية "المقاومة" الحالية.

ومنذ الثمانينات يستعيد الحزب أغاني وعناصر ناصرية ليربط نضاله بـ"القومية العربية" وانتصارات الماضي، رغم انتمائه الشيعي والارتباط بإيران.

ويساعد ذلك في توسيع قاعدته الشعبية خارج الطائفة الشيعية، وتقديم نفسه كامتداد لـ"الثوار العرب" في مواجهة "العدو الغدار".

يذكر أنه في حرب 2006 على سبيل المثال أنتجت "المنار" فيديوهات موسيقية تجمع بين لقطات مقاتلي حزب الله، وهم يحملون أسلحتهم ويطلقون صواريخ، وأناشيد ناصرية أصلية مثل هذه التي يستخدمها حزب الله في حرب الإسناد الحالية لإيران، مما يعكس وعي الحزب بجمهوره العربي الأوسع.

وقال الكاتب الفلسطيني رشاد أبوشاور حينها إن هذا الجانب من الحملة الإعلامية لحزب الله خلال الحرب يشير إلى أن هذا التصوير للصراع قد لاقى صدى في منطقة طالما كانت تتلقى الهزائم.

وصف أبوشاور كيف أن استخدام "المنار" لهذه الأناشيد تحدث إلى الشعور والذاكرة العربية الجماعية، وعزز الاقتناع العربي بأن لبنان يمثل "الخط الأول للدفاع" عن أمة مشتركة في وجه عدو مشترك.

كما أنتجت "المنار" حينها برنامجاً مدته ساعة بعنوان "مقاومة تتحدث إلى المقاومة من وجهة نظر مصرية". يؤطر البرنامج حرب تموز/يوليو 2006 كانتصار عربي من خلال مقابلات مع قادة ومقاتلين مصريين من حرب أكتوبر 1973، ومدنيين وشخصيات فنية مصرية وسورية يمدحون إنجازات حزب الله.

وأنتجت "المنار" فيديو موسيقياً بعنوان "انتصار العرب" للاحتفال بالذكرى الأولى لحرب تموز. شارك فيه ممثلون من سوريا ولبنان ومصر، وصُوِّر في عدة دول عربية، واستخدم خلفيات من جبهة سوريا في حرب 1973، والأهرامات والنيل في مصر، ومعالم لبنانية.

وفي الدعاية الحربية الحديثة (أبريل 2026) يدمج الحزب هذه الأغاني مع لقطات ميدانية حديثة من جنوب لبنان.

كما يستخدم حزب الله في السياق الحالي الأغنية إلى جانب أخرى مثل "الله أكبر فوق كيد المعتدي" لرفع المعنويات خلال المرحلة الحالية من الصراع.

وعلق بعض المستخدمين مندهشين من تبني مجموعة مدعومة من إيران لأناشيد عصر عبدالناصر. وقال حساب:

@ArabGuy56

أنا أتصدمت صدمة عمري من سنتين اما عرفت إن حزب الله بيستخدموا كتير أوي أغنية «خلّي السلاح صاحي – عبدالحليم حافظ»

وكتبت معلقة:

@khaliddeafallah

ليعلم حزب الله أنه بنشيد الله اكبر وأغنية خلي السلاح صاحي تكون مصر مشتركة معه في حربه ضد إسرائيل

وتساعد مثل هذه الاستعارات الثقافية حزب الله على تقديم صورة قومية عربية تتجاوز قاعدته الشيعية، وفقاً لمحللين يتابعون إستراتيجيته الإعلامية منذ سنوات. يدمج الحزب أناشيد ناصرية كلاسيكية مثل "خلّي السلاح صاحي" مع مشاهد لمقاتليه في فيديوهات إعلامية على قناة "المنار" التابعة له، مستعيداً رموزاً من عصر جمال عبدالناصر ليربط نضاله بتاريخ المقاومة العربية المشتركة ضد "العدو الغدار" والإمبريالية.

يرى محللون أن هذا النهج يحول حزب الله من حركة مقاومة شيعية لبنانية إلى "حركة عربية قومية" تتجاوز الحدود الطائفية، موجهاً رسائل إلى السنة والمسيحيين والعرب خارج لبنان ليُنظر إليه كامتداد للقومية العربية التي جسدها عبدالناصر، رغم عمله ضمن "محور المقاومة" الإيراني.

تونس تربط الباحثين الاقتصاديين بوسائل الإعلام بدعم أوروبي

تونس - أطلق مديرو الصحف التونسيون بالشراكة مع وكالة فرنسية مدعومة من الاتحاد الأوروبي، مشروعا مشتركا يهدف إلى ربط الباحثين الاقتصاديين بوسائل الإعلام، بهدف تبسيط الدراسات الأكاديمية المعقدة وجعلها في متناول الجمهور وصانعي القرار.

وتم الإعلان عن إطلاق مشروع "جسور بين المعرفة والإعلام" (Passerelles Savoirs–Médias) يوم 15 أبريل 2026 في فندق كيرياد بريستيج بالعاصمة تونس. ونظمته الجامعة التونسية لمديري الصحف بالتعاون مع برنامج "سافوار إيكو" الذي تنفذه وكالة "إكسبرتيس فرانس" بتمويل من الاتحاد الأوروبي.

ويأتي هذا المشروع كامتداد عملي لبرنامج "سافوار إيكو" الأوسع، الذي بدأ في فبراير 2023 ويستمر حتى أغسطس 2026 بميزانية قدرها 4.5 مليون يورو. ويهدف البرنامج الأم إلى دعم المؤسسات التونسية المنتجة للمعارف الاقتصادية –من مراكز بحث ومختبرات ومؤسسات تفكير– لتعزيز النقاش العمومي حول الاقتصاد والتنمية المستدامة.

ووصف المنظمون المكون الإعلامي الجديد بأنه خطوة عملية لتحويل البحوث الأكاديمية إلى محتوى مؤثر متعدد المنصات. ويخطط المشروع خلال الأشهر السبعة المقبلة لإنتاج 15 ملفا مشتركا، يجمع كل منها مقالاً صحفيا وإنفوغرافيا وكبسولة فيديو قصيرة. وسيتم نشر هذه المواد في الصحف الأعضاء في الجامعة مثل "لو تان" و"لا براس" و"ريباليتيه" و"ماناجرز"، وعبر منصاتها الرقمية، مع توقع الوصول إلى أكثر من 500 ألف قارئ ومستخدم إنترنت.

وقال محمد الطيب زهار، رئيس الجامعة التونسية لمديري الصحف، للمشاركين إن المبادرة تخلق شيئاً مفيداً يمكن تلخيصه بكلمتين أساسيتين "المصداقية والرؤية للباحثين كما للإعلام".

من جانبها أبرزت هالة الشريف، نائبة رئيس مشروع "سافوار إيكو" في "إكسبرتيس فرانس"، الطابع المبتكر لهذه الشراكة، مشيرة إلى أنها تنطلق من دراسات موجودة بالفعل لتختبر إمكانية ترجمتها إلى نقاش عمومي حقيقي.

وشمل برنامج اليوم الافتتاحي جلسات "وورلد كافيه" لمناقشة الرؤية والفرص والتأثير، بالإضافة إلى جلسات "تقديم إعلامي" قدم خلالها الباحثون أعمالهم في 180 ثانية.

وأكد المشاركون على الإمكانيات غير المستغلة لمنصات مثل لينكدإن في نشر ملخصات السياسات لصانعي القرار.

ويواجه الإعلام التونسي منذ فترة طويلة انتقادات بأن التغطية الاقتصادية تبقى معقدة أو بعيدة عن الواقع اليومي. وأشارت مناقشات حول المشروع إلى استطلاعات تظهر أن 65 في المئة من التونسيين يتابعون الأخبار الاقتصادية، لكن الكثيرين –خاصة الشباب– يجدون المحتوى غير مرض بسبب لغته الفنية ومحدوديته ارتباطه بالهموم اليومية.

ويأمل المنظمون أن تخلق هذه الشراكة ديناميكية رابح – رابح: يكسب الباحثون جمهورا أوسع وتأثيرا مجتمعيا أكبر، في حين يثري الإعلام محتواه بمادة موثوقة ومبسطة.

ومن المقرر تنظيم دورة تكوينية حول الإنتاج المشترك في 30 أبريل 2026. ويُقدم إطلاق المشروع كخطوة أولى نحو بناء روابط مستدامة بين المجتمع البحثي التونسي والصحافة.

مشاغل اقتصادية يومية

ليبيا تودع المهدي كاجيجي رائد الصحافة وأحد رموز الجيل الذهبي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

ودّعت ليبيا الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ المهدي كاجيجي أحد أبرز رواد الإعلام الليبي منذ بداية الستينات من القرن الماضي، الذي انتقل إلى دار البقاء، السبت، عن عمر ناهز التسعين عاما.

وتقدم رئيس الوزراء في حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة إلى الوسط الإعلامي والثقافي في ليبيا عامة والأسرة الصحفية خاصة بخالص التعازي وصادق المواساة في وفاة الكاتب والصحفي الكبير الأستاذ المهدي يوسف كاجيجي، واصفا إياه بأنه "أحد أبرز رموز الصحافة الليبية المعاصرة الذي وافته المنية بعد مسيرة مهنية وثقافية حافلة بالعطاء والإسهام الوطني".

وجاء في النعي الصادر عن مكتب الدبيبة أن "الفقيد كان مثالا في المهنية والالتزام، وعُرف بدماثة الخلق والتواضع وترك من خلال قلمه وإسهاماته الصحفية إرثا مهنيا وثقافيا راسخا وظل حاضرا في ذاكرة زملائه ومحبيه وتلاميذه".

واختتم الدبيبة بيان النعي "نسأل الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، وأن يلهم أهله وذويه والأسرة الصحفية جميل الصبر والسلوان".

وبدورها نعت الهيئة العامة للصحافة ومنصة "الصباح" الحكومية، فقيد الصحافة الليبية، الكاتب والصحفي الكبير المهدي كاجيجي، "الذي وافته المنية بعد مسيرة حافلة بالعطاء، كرّس خلالها قلمه لخدمة الوطن والدفاع عن قضاياه، تاركا إرثا مهنيا بارزا في تاريخ الإعلام الليبي".

وقالت الهيئة إن الراحل يعد من أبرز رموز الجيل الذهبي للصحافة الليبية، حيث برز اسمه خلال ستينات القرن الماضي، وقدم إسهامات نوعية في تطوير العمل الصحفي، جامعًا بين المهنية العالية والطرح الوطني المسؤول.

وأضافت أن الفقيد بدأ محررًا في صحيفة "الحرية"، قبل أن يتدرج إلى موقع مدير التحرير، كما عمل مراسلا لدار "الصياد"، وواصل الكتابة لسنوات طويلة بأسلوب ناقد وساخر، عالج من خلاله قضايا الشأن العام وهموم المواطن.

واعتبر محمد أحمد الصالحين الهوني رئيس تحرير "العرب" أن ليبيا طوت برحيل الأستاذ المهدي كاجيجي صفحة مهمة من تاريخ الصحافة والإعلام منذ بداية عقد الستينات من القرن الماضي، وودعت أحد أبرز فرسان الكلمة وأساطين الكتابة الصحفية المنكّهة بعبق الأرض والوطنية الصادقة.

وتابع الهوني أن الراحل الكبير كان بالنسبة له العم في مقام الصديق، وعميد الأسرة الذي طالما مثل عماد البيت، وكان بقلبه الكبير وعقله المستنير صاحب فضل على الجميع، وخاصة على وطنه الذي آمن به واحدا موحدا، ودافع عنه بالكلمة الصادقة والموقف النبيل، كما آمن بأمته العربية وتربى على أمل وحدتها وتقدمها لتكون جديرة بتاريخها العظيم وتراثها الخالد وبموقعها البديع فوق الأرض وتحت الشمس.

وذكر الهوني أن المصادفات اللافتة "وفاة العم المهدي في اليوم الذي يوافق مرور عشرين عاما على رحيل الوالد أحمد الصالحين الهوني مؤسس صحيفة العرب الدولية".

واهتزت الساحة الإعلامية والثقافية في ليبيا لخبر وفاة كاجيجي، حيث أشاد الكتاب والأدباء والصحفيون والإعلاميون والفنانون بخصال الكاتب الصحفي الكبير، بمهنيته وصدقه ونبل مواقفه، وبأخلاقه الدمثة وحسه الإنساني الراقي، وارتباطه بجذوره سواء في مدينة هون والجنوب أو في المحيط الأسري والاجتماعي والمهني الذي انتمى إليه بالعاصمة طرابلس منذ انتقاله إليها أواخر خمسينات القرن الماضي.

وأشار موقع "بلد الطيوب" المتخصص في الشأن الثقافي في ليبيا إلى أن الراحل عُرف بهدوئه ودماثة خلقه وتواضعه، إلى جانب أسلوبه الكتابي الذي جمع بين السلاسة والعمق، ودقته في تتبع القضايا والموضوعات التي تناولها.

وتابع "فيما تميّز كاجيجي بمساهماته في توثيق سِيَر عدد من رموز الثقافة والإعلام في ليبيا، كما قدّم أعمالًا صحفية لافتة، من أبرزها سلسلة تحقيقاته 'الطريق إلى فزان' التي نُشرت عام 1968، وشكّلت محطة مهمة في الصحافة الاستقصائية الليبية"، و"على صعيد الحوارات، أجرى لقاءات بارزة مع شخصيات دولية، من بينها الزعيم الكوبي فيدل كاسترو على هامش مؤتمر اتحاد الصحفيين الدوليين في هافانا عام 1971، إلى جانب حوار مع الزعيم الكوري كيم إل سونغ، ما يعكس حضوره المهني في فضاءات إعلامية دولية فضلا عن مساهمته في إنتاج عدد من الأفلام الوثائقية، في امتداد لدوره في نقل الصورة وتوثيق الذاكرة".

وتحدث الكاتب الصحفي محمود البوسيفي عن "فقد بمرارة الوجع" وعن "انطفاء قنديل آخر في عتمة الدهليز" مردفا "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. المربي والمعلم والكاتب الصحفي والإعلامي الفاعل الأستاذ المهدي كاجيجي في ذمة رب العالمين.. الدعاء أن يتغمده الحق تبارك وتعالى بفيض رحمته وأن يسكنه فسيح جناته ويلهم أهله وذويه وأحبابه وأصحابه جميل الصبر والسلوان وأن يعظم لهم الأجر والثواب".

> اعتبر محمد أحمد الصالحين الهوني رئيس تحرير «العرب» أن ليبيا طوت برحيل الأستاذ المهدي كاجيجي صفحة مهمة من تاريخ الصحافة والإعلام منذ بداية عقد الستينات من القرن الماضي

ويرى الكاتب والصحفي بشير زعبية أن المهدي كاجيجي "حين يكتب تكتشف أنه يملك خاصية العطر الراقي، ذلك الذي ترتبط رائحته دائما بالأمكنة وحتى الأزمنة، إذ يستحضرها كلما فاح، فما إن تباشر قراءة ما يكتبه، حتى تتسرب في المكان تلك الرائحة البهيّة التي لا يعرفها ويخبرها إلا الذي عمل في الصحافة وجال في أروقتها وكواليسها وقضى الليل في مطابعها بفضائها المشبع بمزيج روائح الورق والحبر والزنك ودخان السجائر وأصوات حركة المطبعة إذ تستأنف حركة دورانها اليوم".

ويضيف "نحن نتكلم عن صحافة تلك الحقبة الذهبيّة، حقبة الستينات التي تلألأت فيها حبات عقد الصحافة الليبية، بظهور فرسانها، ومن بينهم كاتبنا الصحفي الصديق المهدي كاجيجي.. ابن الجنوب الذي حط به 'موسم الهجرة إلى الشمال' نهاية الخمسينات، وهو 'الموسم الذي شهد انتقال عديد العائلات الجنوبية للعيش في العاصمة، حيث 'ابتلعتنا أم السرايا والشط والهاني، وانشغلنا بأنفسنا ونسينا أهلنا'".

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

في ذكرى رحيل الحاج الهوني: هل انتهت المشاريع الإعلامية الكبرى؟

كان سباقا في التنبيه للخطر الإيراني

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لا تُستدعى الشخصيات الكبرى في الذكرى، بل تُستعاد المشاريع التي صنعت أثرها في الوعي والزمن. وفي الذكرى العشرين لرحيل الحاج أحمد الصالحين الهوني، رحمه الله، لا يبدو الحديث عنه مجرد وقفة وفاء أو استرجاع لسيرة مهنية، بل محاولة لقراءة تجربة إعلامية متكاملة شكّلت نموذجا نادرا في الصحافة العربية؛ تجربة جمعت بين وضوح الموقف، واستقلالية القرار، والقدرة على احتضان أجيال مختلفة دون التفريط في الثوابت. من هنا، يصبح استحضار الحاج الهوني اليوم مدخلا لفهم أعمق لأزمة الإعلام العربي، بقدر ما هو بحث في شروط نجاح مشروع ظل صامدا رغم تقلبات السياسة وضغوط التمويل.

أدركت العمل مع الحاج الهوني لعام واحد، عرفت الرجل عن قرب بما كان يسمح به رحمه الله من لقاءات ثنائية بسيطة وبلا تكلف، ومن خلال اطلاعي على جزء كبير من مدونته قبل دخول المؤسسة وخلال سنوات دراستي الجامعية، وأيضا من خلال قراءة وتدقيق جزء من هذه المدونة خلال إعداد مؤسسة العرب المجموعة الكاملة لأعمال الحاج الهوني ونشرها تباعا في ذكرى وفاته.

يختلط الذاتي بالموضوعي في الحديث، لكن الهدف هو تقديم صورة مجملة عن أهمية المشروع الإعلامي الذي عشت بعضا منه مباشرة أو عبر النصوص. جئت إلى "العرب" من الصحافة المحلية ومن مجال يتناقض عادة مع الاشتغال بالمجال السياسي، ويتعلق بالتغطيات الثقافية والنصوص النقدية إما في الصحف أو بعض المجلات المحلية المختصة بالنقد.

خدمتني الظروف كثيرا بأن التحقت بصحيفة "العرب" قبل رحيل الحاج الهوني بعام واحد، كتبت العمود السياسي اليومي، كتبت المقال التحليلي متسلحا بثقافة جيلي الذي كنا نصفه من باب جلد الذات بجيل الهزائم، الجيل الذي ولد في الستينات مثقلا بالسياسة رغم أنفه، وعرف حرب 67 بمختلف تسمياتها المخففة والجافة؛ هزيمة أو نكسة.

كان من الصعب على أي كان أن يدخل مؤسسة عريقة في تاريخ العرب وسمعتها ثم يكتب خلال فترة قصيرة عمودا يوميا، لكن هذا حصل لأن هدف الحاج الهوني رحمه الله كان اكتشاف الناس وفتح المجال أمامهم وليس احتكار التحليل والظهور. عشت حالة من الديمقراطية على الأرض دون كلام ولا شعارات؛ يمكنك أن تكتب، لكن يتم التقييم والنصيحة والتوجيه دون تقزيم ولا استسهال.

وهذا أحد أسرار استمرار صحيفة "العرب" رغم أنها صحيفة خاصة وكابدت كثيرا وما تزال من أجل أن تستمر وتحافظ على خطها التحريري القائم على المرونة والانفتاح على الأجيال الجديدة لكن دون تساهل، ودون محسوبية ومجاملات لاسترضاء أنصار هذا النظام أو ذاك، وهو الأسلوب الذي نخر تجارب الإعلام العربي وقاد إلى فشل الكثير من المؤسسات والمشاريع الإعلامية.

وضمن مسار الديمقراطية الداخلية الهادئة، تحولت صحيفة "العرب" إلى منبر لكل العرب من مختلف الدول والتيارات الفكرية والسياسية. تنشر المقالات ذات المستوى الجيد في صفحاتها السياسية، وتتيح الفرصة أمام المبتدئين وغير المتخصصين في صفحة هايدبارك، التي ضمت فسيفساء من مختلف المشارب. وهذا الانفتاح ليس استعراضا أو عبثا وإنما الهدف منه خلق فضاء إعلامي عربي جامع على واجهتين، في المهجر وفي الوطن العربي ككل.

ودون مبالغة، فإن "العرب" كانت خلال فترة المؤسس الحاج أحمد الصالحين الهوني المؤسسة الصحفية المستقلة التي تحمل مشروعا سياسيا وفكريا جامعا، فيه تدافع عن الأمة العربية وعن مجموعة من القيم التي تنهض بها، لكن هذا لم يكن يعني البعد القومي الشوفيني أو المقاربة القومية التي بنتها الأنظمة العسكرية. كانت "العرب" تنظر إلى الأمة على أنها فضاء جامع لا يلغي الخصوصيات ولا ينحاز إلى أنظمة بعينها.

كان الحاج رحمه الله يكتب عن كل الحكومات والرؤساء العرب بإيجابية بما في ذلك نظام العقيد الليبي الراحل معمر القذافي الذي كان وراء اضطراره إلى مغادرة ليبيا نحو الخليج ثم نحو أوروبا. كان يعارض انفراد مصر بمسار التطبيع، لكنه كان يكتب عن مصر بحب ويشيد بالمكاسب والنجاحات ويقدم النصائح لتجاوز الأخطاء لقادة مصر وغيرها من الدول العربية، تساعده في ذلك معرفة واسعة بالتفاصيل وعلاقات متنوعة بمصادر الأخبار وقدرة كبيرة على الجمع والتحليل والاستنتاج.

كتب عن دول شمال أفريقيا بإيجابية كبيرة وعمل من خلال افتتاحياته على رأب الصدع بين الفرقاء، لكنه كان أميل لأنْ يقول للمحسن أحسنت دون أن يضع نفسه في صف هذا النظام أو ذاك. لديه حب خاص للخليج، كان يتحدث بحب كبير عن الإمارات وعن المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وعن السعودية وعن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، الذي صار لاحقا عاهلا للسعودية.

وعرف الحاج الهوني بموقفه الداعم للرئيس العراقي الراحل صدام حسين في حربه مع إيران بخلفية أن نظام آية الله الخميني كان يمثل خطرا على الأمة العربية، وكان رحمه الله من أكثر الأصوات استباقا في التنبيه للخطر الإيراني على العرب ككل وليس على العراق، وها نحن نقف اليوم على قيمة هذا التحذير بعد أن وقفنا على حجم العداء الذي تكنه إيران لدول الجوار الخليجي، وهو ما عكسه العدوان الأخير دون تفريق بين من وقف معها في المحنة ومن يسعى إلى الحوار معها أو من تغاضى عن العدوان في بدايته وسعى لامتصاص تأثيراته والتقليل منه.

كان مؤسس "العرب" حاسما في انتقاد الولايات المتحدة وإسرائيل وتركيا وإيران وكل الدول التي تستهدف الأمن القومي العربي الجامع أو استقرار أي قطر عربي حتى وإن كان على خلاف مع هذا النظام أو ذاك، وهذا الالتزام بالبعد القومي الشامل كان أحد أهم شروط المقاربة الشاملة للإعلام ذي العمق العربي، فلم يكن يقبل تحت أي مسوغ أن يشيد بإيران أو أي دولة أخرى نكاية في بلد عربي آخر، أو ينأى بنفسه في حرب على دولة عربية كما حصل في وسائل إعلام عربية خلال العدوان الإيراني على دول الخليج في الأسابيع الأخيرة.

قام المشروع الإعلامي الذي أسسه الحاج الهوني نهاية سبعينات القرن الماضي على فكرة الالتزام السياسي التي كانت تحدد موقف "العرب" وعلاقاتها في المهجر وفي الداخل العربي. لم يكن همّ مؤسس "العرب" هو التقارب مع هذا النظام العربي أو ذاك، وإنما الدفاع عن قضايا عامة يلتقي فيها مع هذا النظام أو ذاك، ويمكن أن تجلب حساسية هنا أو هناك، لكن كان يحكمها موقف سياسي وفكري. كان ضد ظاهرة تسييس الدين وتوظيفه في العمل السياسي سواء كان صادرا عن جماعة الإخوان المسلمين أو عن حزب الله أو أي جماعة شيعية أو سنية أخرى.

لا لأنصاف المواقف أو المواقف المتلونة ضد التطرف هنا ومعه هناك، كما رأينا في العدوان الأخير، حيث انحازت الكثير من النخب إلى صف إيران وحزب الله رغم أنها استفادت لسنوات من الظهور في الإعلام الخليجي ومن التمويل والحفاوة لمجرد كتابات فضفاضة ومواقف ملتبسة أماطت عنها الحرب الستار وفضحت أصحابها.

إن الدول العربية في حاجة إلى دعم الإعلام الذي يتبنى مشروعا سياسيا وفكريا واضحا ويحتكم إلى محددات يعلمها الجميع، بعد فشل سياسات الدعم القائمة على المجاملات الشخصية والتقييمات المتعجلة وشراء الود سواء ما تعلق بالإعلام العربي أو الغربي، وانتهت تلك السياسات إلى ما رأيناه من موجة انحياز لإيران بما في ذلك في إعلام دول خليجية كانت تتعرض للضربات. تحت وقع القصف كان بعض الإعلام الخليجي يستضيف ضيوفا إيرانيين وعربا يشيدون بإيران وأذرعها في المنطقة ويصفق لسردية "النصر" التي يتحدث عنها الحرس الثوري، فيما اختفى آخرون كليا عن الظهور كي لا ينتقدوا إيران أو حزب الله على أن يستعيدوا خطاباتهم بعد الحرب في إعلام الخليج.

لا شك أن الأعمال الكاملة للحاج الهوني، رحمه الله، توفر مدونة للدراسة والبحث واستخراج عناصر القوة للاستفادة منها في بناء مؤسسة ملتزمة بقضايا العرب ومصالحهم القومية وأمنهم ودعم الشراكة العربية البينية ثنائيا وجماعيا. ليس المهم الشعارات ولا المبالغة في مديح هذا النظام أو ذاك، المهم الالتزام ولو بصوت خافت يظل على هامش الثناء والدعم والأضواء.

بعد عشرين عاما على الغياب، لا يبدو أن الحاج الهوني قد غادر المشهد، لقد ترك وراءه معيارا يُقاس به الحضور والغياب في الإعلام العربي. فالمشاريع لا تُخلّد بطول عمرها، بل بقدرتها على إنتاج معنى والاستمرار كمرجعية، وهو ما نجحت فيه "العرب" سابقا وتعمل على تدعيمه في مرحلة الفرز الكبرى التي تلي حرب الخليج الجديدة.

بين رحيل الوالد والعم... حكايات لا تموت

صلاح الهوني
إعلامي ليبي

يصادف اليوم الذكرى العشرين لرحيل والدي، المرحوم أحمد الصالحين الهوني. وقد شاء القدر أن أتلقى هذا الصباح نبأ وفاة سيدي مهدي كاجيجي، رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته.

أخذتني الذاكرة إلى قصصه ومواقفه التي كان يرويها لنا بابتسامة لا تفارقه، وأحاديثه التي لا تُمَلّ، حتى تشعر وكأنه صديق قبل أن يكون عمًا. وهذه إحدى تلك القصص:

حين استقر والدي في طرابلس، اتخذ لقب "الهوني" نسبةً إلى عائلته، من أوائل الهوانا الذين قدموا من الجنوب الليبي واستقروا في العاصمة، وكان لهم دور في بناء الدولة الحديثة، إلى أن تولّى منصب وزير الإعلام في المملكة الليبية.

ولما لحق به سيدي مهدي إلى طرابلس، بدأ مسيرته في العمل الصحفي، لكنه اختار أن يحتفظ باسم العائلة "كاجيجي"، ليصبح لاحقًا أحد أبرز الصحافيين وأصحاب القلم الحر، ويتولى رئاسة تحرير صحيفة "الحرية" في العهد الملكي.

وكان جدي، الحاج الصالحين، قد أُصيب في مرحلة الجهاد وفقد يده اليمنى، فكان رمزًا من رموز تلك المرحلة بما حملته من تضحيات.

ومن عادات الوالد، حين كان وزيرًا للإعلام، أنه كان يدعو الصحافيين والإعلاميين إلى مأدبة غداء في بيته في ثاني أيام العيد، بحضور الحاج الصالحين.

وكان سيدي مهدي يستغل تلك المناسبة للجلوس إلى عمه، الحاج الصالحين، والحديث معه طويلًا، تعويضًا عن انشغاله الدائم بالسفر والعمل الصحفي، حيث كانت فرصة اللقاء بالعائلة نادرة.

وفي لحظات الطعام كان يجلس بجوار عمه، يساعده في تفاصيل بسيطة بمحبة ووفاء، لا يلتفت إليها الكثيرون، بينما كانت بالنسبة إليه جزءًا من البر وصلة الرحم.

ولأن المشهد لم يكن واضحًا لبعض الحضور، كان البعض يتساءل ويتهامس مستغربًا، معتقدين أنه تزلّفٌ من المهدي للوزير، دون أن يدركوا أن من كان يخدمه هو في الحقيقة عمه، الحاج الصالحين.

وكان سيدي مهدي يروي هذه القصة لاحقًا لي، ويضحك من قلبه كلما تذكرها، كأنها لحظة تختصر بساطة الزمن وصدق العلاقات.

وقد سمع بهذا المشهد الشاعر أحمد النويري، فقال في افتتاح المؤتمر الأول للأدباء والكتاب الليبيين – طرابلس:

الهوني والهوني والهوني
والخامس والعاشر هوني
والمهدي كاجيجي هوني
قداش من إخوان الهوني
وميتين هوانه كتاب

اللهم اغفر لهما وارحمهما رحمةً واسعة، واجعل قبريهما روضةً من رياض الجنة، وأنزل عليهما نورًا وطمأنينة وسكينة، واغسلهما بالماء والثلج والبرد، ونقِّهما من الذنوب والخطايا كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس.

اللهم اربط على قلوب أهلهما ومحبيهما، واجعل ذكراهما نورًا ممتدًا في دروبنا، واجمعنا بهما في جنات النعيم، في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

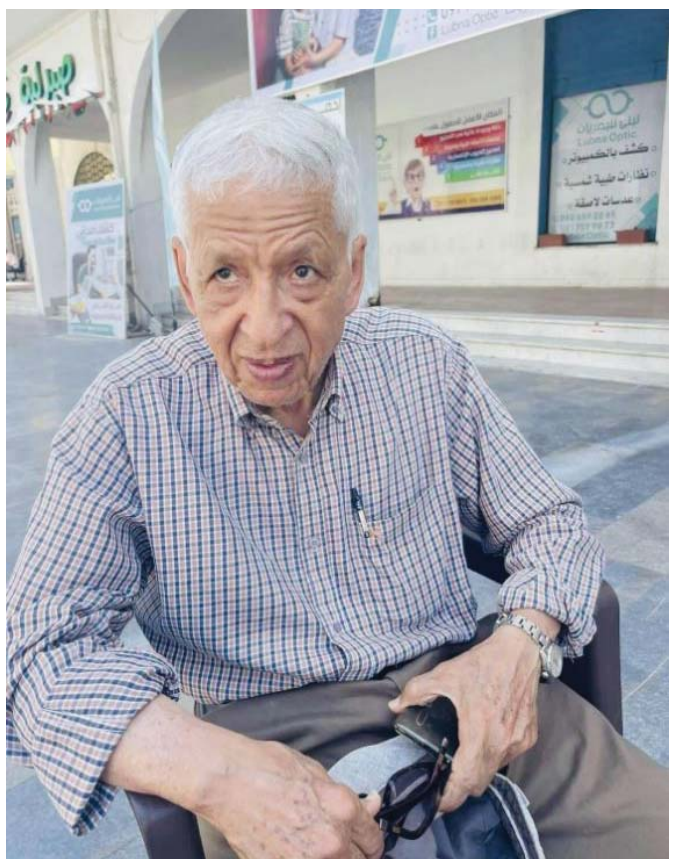

المهدي كاجيجي: أحد أبرز الصحافيين الليبيين

القدس بعد الطوارئ.. عودة الأقصى واختبار الاستقرار الهش

عبدالباري فياض
كاتب وصحافي فلسطيني

مع إعلان انتهاء الحالة الأمنية الاستثنائية في مدينة القدس، وإعادة فتح المسجد الأقصى أمام المصلين بالتزامن مع بقية المواقع المقدسة، بدت المدينة وكأنها تستعيد إيقاعها بعد أسابيع من الانقطاع القسري. غير أن هذه العودة، رغم رمزيتها الواضحة، لا يمكن النظر إليها بوصفها استعادة كاملة للحياة الطبيعية، بقدر ما تعكس انتقالا حذرا من لحظة توتر إقليمي إلى واقع لا يزال محكوما بتوازنات دقيقة وقابلة للتبدل.

تدفق المصلين إلى المسجد الأقصى لأداء أول صلاة جمعة بعد إعادة فتحه شكّل لحظة كاشفة لحجم الانقطاع الذي فرضته الإجراءات الأمنية خلال فترة التصعيد الأخيرة. فالحضور الكثيف لم يكن مجرد استجابة لفتح الأبواب، بل عكس حالة تراكم روحي واجتماعي تشكلت خلال أسابيع اقتصرت فيها الصلاة على أعداد محدودة، في مشهد غير مألوف بالنسبة إلى مدينة يقوم جزء أساسي من حياتها على هذا الحضور المنتظم.

هذا التحول السريع من الإغلاق إلى الاكتظاظ يسلط الضوء على طبيعة العلاقة بين الاستقرار الأمني والحياة اليومية في القدس، حيث يبدو أن أي تغير في مستوى التوتر الإقليمي ينعكس بشكل مباشر على واقع المدينة. فالإجراءات التي فُرضت خلال الفترة الماضية لم تكن معزولة عن سياق أوسع اتسم بتصاعد المواجهة بين إسرائيل وإيران، وهو ما دفع إلى التعامل مع القدس بوصفها جزءا من بيئة أمنية قابلة للتأثر بتلك التطورات.

ومع تراجع حدة هذا التصعيد نسبيا، جاء قرار إعادة فتح الأماكن المقدسة كمؤشر على تغير في التقدير الأمني، دون أن يعني ذلك بالضرورة نهاية العوامل التي أفضت إلى الإغلاق. فالمشهد الإقليمي لا يزال مفتوحا على احتمالات متعددة، كما أن مسار الحرب في غزة لم يصل بعد إلى تسوية واضحة، في ظل استمرار الجهود الدبلوماسية التي تقودها أطراف إقليمية ودولية للوصول إلى تفاهمات تتعلق بوقف إطلاق النار وترتيبات ما بعده.

في هذا السياق، تبدو القدس من أكثر الساحات تأثرا بنتائج هذه المسارات، رغم أنها ليست طرفا مباشرا فيها. فخلال فترة الإغلاق، بدا واضحا أن واقع المدينة يتشكل إلى حد كبير خارجها، وهو ما يطرح تساؤلات حول مدى قدرة أي تفاهمات مستقبلية على تقليل انعكاسات الأزمات الإقليمية على الحياة اليومية لسكانها.

ومن زاوية أخرى، يفرض هذا الواقع نقاشا موضوعيا حول كلفة تداخل الساحات الفلسطينية مع الحسابات الإقليمية الأوسع. فبينما يمنح هذا التداخل القضية الفلسطينية حضورا ضمن معادلات أكبر، فإنه في الوقت ذاته قد يضع المدن الحساسة، وفي مقدمتها القدس، في موقع التأثر المباشر بتقلبات تلك المعادلات. وهو ما ينعكس عمليا في فترات التقييد التي تمس الحياة الدينية والاجتماعية بشكل واضح.

وفي الإطار ذاته تشير بعض التقديرات إلى أن تعقيد المسار التفاوضي المرتبط بالحرب في غزة، سواء على مستوى الترتيبات الأمنية أو القضايا العالقة، قد يسهم في إطالة أمد حالة عدم اليقين في مختلف الساحات. كما يُنظر إلى بطء التقدم في بعض الملفات على أنه عامل قد يؤخر الانتقال من التهدئة المؤقتة إلى استقرار أكثر استدامة، وهو ما ينعكس بدوره على المشهد العام، بما في ذلك القدس.

مشهد عودة المصلين إلى المسجد الأقصى حمل دلالة إنسانية واضحة، لكنه في الوقت ذاته أظهر محدودية تأثير الإجراءات الاستثنائية على العلاقة العميقة بين السكان ومقدساتهم. فهذه العلاقة، التي بدت وكأنها انقطعت مؤقتا، سرعان ما استعادت حضورها فور رفع القيود، بما يعكس ثباتها رغم تغير الظروف.

ومع ذلك، يظل هذا الاستقرار عرضة للاهتزاز ما دام مرتبطا بعوامل خارجية لا تخضع بالكامل لواقع المدينة. فكل عودة للحياة الطبيعية في القدس تبدو مشروطة باستمرار حالة الهدوء الإقليمي، وهو شرط يصعب ضمانه في ظل تعقيدات المشهد الراهن.

إعادة فتح المسجد الأقصى لحظة مهمة، لكنها في الوقت ذاته تطرح اختبارا حقيقيا لقدرة هذا الاستقرار على الصمود. فبين الإغلاق وإعادة الفتح، تتكشف معادلة دقيقة تتداخل فيها الاعتبارات الأمنية مع الخصوصية الدينية والسياسية، في ظل غياب أفق تسوية نهائية.

يبقى التحدي الأساسي هو الانتقال من إدارة الأزمات إلى بناء حالة استقرار أكثر ثباتا، تُبقي القدس خارج دائرة التأثر المباشر بتقلبات الإقليم، وتحفظ طابعها كمدينة مفتوحة للحياة الدينية، لا كساحة يُعاد ضبط إيقاعها مع كل جولة تصعيد جديدة.

لبنان يختار استرجاع أرضه...

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

دقت ساعة الحقيقة. يقف لبنان أمام خيارين لا ثالث لهما، إما استرجاع أرضه عن طريق المفاوضات المباشرة مع إسرائيل... أو استمرار الاحتلال، عن طريق الرضوخ لإيران وأداتها اللبنانية المسماة "حزب الله".

اختار لبنان استعادة أرضه. تبقى النقطة الأساسية في الكلمة الجريئة التي وجهها رئيس الجمهورية جوزف عون إلى اللبنانيين تلك المتعلقة بالتوصل إلى "اتفاقات دائمة" مع إسرائيل في ضوء التوصل إلى وقف لإطلاق النار. المطلوب البناء على وقف إطلاق النار بدل استمرار المتاجرة بلبنان وأهله، أهل الجنوب على وجه التحديد.

تبيّن للرئيسين جوزف عون ونواف سلام أن لا فائدة من نصف خروج من اللعبة الإيرانية. إما خروج كامل أو يبقى لبنان ضحيّة أخرى من ضحايا المشروع التوسّعي الإيراني

تعمّد رئيس الجمهوريّة تأكيد الخروج اللبناني الكامل من اللعبة الإيرانيّة عبر تجاهله، المحقّ، لأي دور لـ"الجمهوريّة الإسلاميّة" في التوصّل إلى وقف إطلاق النار. في المقابل، شدّد على دور "الصديق" الرئيس دونالد ترامب والمجموعة العربية، "في مقدّمها المملكة العربيّة السعوديّة". سيجلب ذلك من دون شكّ غضب إيران و"حزب الله" على رئيس للجمهوريّة يسعى إلى التخلّص من الاحتلال وعودة النازحين إلى قراهم.

تحقّق وقف إطلاق النار في لبنان بعدما تبيّن للرئيسين جوزف عون ونواف وسلام أنّه لا فائدة من نصف خروج من اللعبة الإيرانية. إما خروج كامل من تلك اللعبة أو يبقى لبنان ضحيّة أخرى من ضحايا المشروع التوسّعي الإيراني والطريق المسدود الذي بلغه.

تبدو مشكلة إيران مع لبنان معقدة إلى أبعد حدود. يعود ذلك، أصلا، إلى العجز الإيراني عن فهم تركيبة لبنان وصيغته المعقّدة من جهة ورفض اللبنانيين، في أكثريتهم، سقوط بلدهم تحت الهيمنة الإيرانيّة مباشرة بعد تخلّصه من الوصاية السورية.

لكنّ العقدة الكبرى لإيران تظلّ في اكتشافها أنّ استثمارها في "حزب الله"، وهو استثمار يزيد عمره على أربعين عاما، لم يكن في محلّه. ذهبت كل المليارات التي وظفتها "الجمهوريّة الإسلاميّة" هباء، أكان ذلك في لبنان أو في سوريا أيضا.

لا بدّ من تفهم وضع إيران والعقدة التي تسبّب بها لبنان. تتمثل العقدة في عجز "الجمهوريّة الإسلاميّة" على التكيّف مع التغيير الذي حصل في المنطقة. يعبّر أفضل تعبير عن هذا التغيير أنّ الحرب الدائرة حاليا، إنما تدور في داخل إيران نفسها. ليس بعيدا اليوم الذي ستكشف فيه هذه الحرب الفشل الذي يعاني منه النظام الذي أقامه آية الله الخميني في العام 1979 والذي كان في أساسه شعار "تصدير الثورة".

بعد مرور 47 عاما على قيام "الجمهوريّة الإسلاميّة"، ارتد الشعار الذي رفعته طهران على من رفعه. يرفض لبنان، بأكثرية مواطنيه، ارتداد هذا الشعار الإيراني عليه أيضا.

لم يستطع النظام الإيراني في نهاية المطاف متابعة الدفاع عن نفسه عن طريق تصدير أزماته إلى خارج حدوده. كان لا بدّ من نهاية للعبة سمجة وخطيرة في الوقت ذاته. اعتمدت هذه اللعبة على سذاجة الإدارات الأميركيّة المتلاحقة منذ عهد جيمي كارتر من جهة وعلى تواطؤ إسرائيلي من جهة أخرى. لعبت إسرائيل كلّ الأدوار المطلوبة منها إيرانيا من أجل خدمة مصالحها القائمة على تفتيت المنطقة.

تغيّرت قواعد اللعبة الإقليميّة التي كانت قائمة أساسا على تساهل أميركي مع طهران وعلى تواطؤ إسرائيلي معها. تغيّرت المنطقة، بما في ذلك إسرائيل، بعد السابع من تشرين الأول – أكتوبر 2023. لم تلتقط "الجمهوريّة الإسلاميّة" حتّى معنى ألّا تعود الطرف الذي يقرّر من هو رئيس الجمهوريّة في لبنان.

لا يمكن نسيان أنّ "حزب الله" فرض ميشال عون رئيسا للجمهوريّة في 31 تشرين الأول – أكتوبر 2016. لا يمكن، في الوقت ذاته، تجاهل أن جوزف عون وصل إلى قصر بعبدا مطلع العام 2025 غصبا عن رغبة إيران و"حزب الله".

يبقى أنّ الحقيقة والواقع شيء، فيما الوهم شيء آخر. كان ميشال عون مع صهره جبران باسيل مجرّد أداة عند "حزب الله"، أي أداة عند الأداة الإيرانيّة. تسمح الظروف الإقليمية المختلفة في المنطقة، خصوصا مع التغيير الكبير الذي حصل في سوريا، للرئيس الحالي للجمهوريّة اللبنانية بأن يخرج من تحت الهيمنة الإيرانيّة وأن يكون رئيسا بالفعل للبنان على الرغم من غياب بعض الوضوح في الرؤية لدى قصر بعبدا في بعض الأحيان.

كلّ ما في الأمر أن إيران لا تعرف كيف تخسر، كما حصل مع ألمانيا واليابان. يبدو أنّ "الجمهوريّة الإسلاميّة" لا تعرف، حاليا، كيف تخسر مثلما لم تعرف كيف تربح في مرحلة اعتبرت فيها أنّها تسيطر على أربع عواصم عربيّة، بينها بيروت.

المهمّ بالنسبة إلى بلد مثل لبنان أن يعرف كيف يخسر وأن يخرج من تحت العباءة الإيرانيّة نهائيا. لا خيارات كثيرة أمام البلد الذي سيكون عليه دفع ثمن "حرب فرضت عليه"، على حد تعبير نوّاف سلام.

أظهر لبنان، عبر كلمة جوزف عون، أنّه يريد بالفعل الذهاب إلى أبعد من الوصول إلى وقف لإطلاق النار مع إسرائيل، سيتوجب عليه تقديم تنازلات لا مفرّ منها. كلّما استعجل لبنان قبول الشروط التي يمكن أن تؤدي إلى وقف إطلاق النار، بشكل دائم، كلما كان ذلك أفضل رحمة بالجنوب وأهل الجنوب. مثلما أنّ إيران تفاوض أميركا، عليه مفاوضة إسرائيل من دون عقد من أي نوع.

تعمّد عون تأكيد الخروج اللبناني الكامل من اللعبة الإيرانيّة

حين لا ترحم «الجمهوريّة الإسلاميّة» أهل الجنوب والجنوب بقراه ومدنه، ليس أمام لبنان غير وضع مصلحته فوق أي مصلحة أخرى

حين لا ترحم "الجمهوريّة الإسلاميّة" أهل الجنوب والجنوب بقراه ومدنه، ليس أمام لبنان غير وضع مصلحته فوق أي مصلحة أخرى، خصوصا فوق مصلحة إيران. يجدر به أخذ العلم بأنّ لا أوراق لدى البلد يلعبها في مواجهة وحش اسمه بنيامين نتنياهو غير الحديث المباشر مع "بيبي". مثل هذا الحديث يمكن أن يكون مفيدا، في مرحلة معيّنة، بغية الذهاب إلى أبعد من وقف لإطلاق النار... والبحث في ما إذا كانت هناك وسيلة لزوال الاحتلال مقابل ثمن لا مفرّ من دفعه. إنّه ثمن التبعية الكاملة لـ"حزب الله" لـ"الجمهوريّة الإسلاميّة".

هل تقودنا الهدن الهشّة إلى حرب جديدة؟

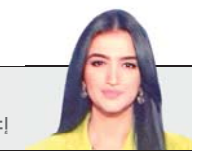

ربى عياش
إعلامية فلسطينية

مع آخر التطورات في الحرب الإيرانية – الأميركية – الإسرائيلية، وتعدّد الجبهات المفتوحة، وضمّ لبنان إلى قلب هذا الاشتباك، ومع التأثير المباشر على الملاحة البحرية والتجارة والصادرات النفطية، خاصة مع إغلاق مضيق هرمز واستخدامه كورقة ضغط متبادلة بين الأطراف، يبدو أننا أمام مشهد معقّد جدًا يصعب التنبؤ بمساراته. ويبدو أنه أشبه بصراع دائري مستمر تصعب قراءته، تتقلص وتتوسع أبعاده بحسب مدى جدية محاولات كل طرف لإنهاء الآخر.

اليوم، وفي ظل ما يُسمّى باتفاق وقف إطلاق النار، نحن فعليًا في مرحلة الهدن الهشّة.

هدنة أميركية – إيرانية، بمشاركة إسرائيل ضمنيًا، لمدة أسبوعين بدأت في 8 أبريل، بوساطة باكستانية، ترافقت مع إعادة فتح جزئي لمضيق هرمز، ثم عادت إيران لإغلاقه بسبب الحصار الأميركي، على حدّ قولها.

وبالتوازي، هدنة لبنانية – إسرائيلية لمدة 10 أيام بدأت منتصف ليل 16 – 17 أبريل، مع استمرار التوغّل الإسرائيلي في مناطق الجنوب، ومحادثات مباشرة جرت في واشنطن بين الجانبين برعاية أميركية، وهي الأولى من نوعها منذ عقود.

انطلاقًا من هذه المعطيات، نحن أمام أكثر من احتمال:

إما أن تكون هذه الهدن محاولة لإيجاد حل نهائي لهذا الصراع المستنزف لجميع الأطراف، أو أنها مجرد كسب وقت لإعادة ترتيب الأوراق والتحضير لجولة حرب جديدة قد تكون أشدّ وأوسع وأكثر تعقيدًا، وقد تجرّ المنطقة بأكملها إلى تصعيد خطير، وربما تؤدي إلى دخول أطراف دولية جديدة في الصراع. جولة قد تُستخدم فيها أدوات لم تُستخدم سابقًا، سواء عسكريًا أو سياسيًا أو حتى اقتصاديًا، وقد تكسر خطوطًا حمراء لم يسبق كسرها.

في المقابل، هناك احتمال آخر، وهو إمكانية التوصل إلى اتفاق شامل، ربما شبيه بالاتفاقات السابقة التي عقدتها الإدارات الأميركية مع إيران؛ اتفاقات شكلية لا تُنهي الصراع، وإنما تضمن هدوءًا قلقًا في المنطقة، وتؤسس لشكل جديد من إدارة العلاقات رغم أنف جميع الأطراف.

المشكلة أن ما يهدد التوصل إلى اتفاق هو أن الجميع، حتى الآن، يريد نصرًا يُباع داخليًا، يمكّنه من فرض سيادته، ويمنحه نوعًا من القوة على الساحة الإقليمية والدولية.

فنحن وصلنا إلى مرحلة لم يسقط فيها أحد بشكل كامل، ولم ينتصر فيها أحد بشكل كامل.

إيران، رغم التضرر الذي أصابها، لن تعترف بهزيمة، وربما تقاتل بكل إمكاناتها حتى آخر جولة. وستتبنى خطاب الانتصار لأن النظام بقي، ولأنها وقفت في وجه واحدة من أقوى القوى العالمية المتمثلة في الولايات المتحدة وأجبرتها على التفاوض. كما عززت سيطرتها على مضيق هرمز واستخدمته كورقة ضغط مهمة.

أما داخليًا، فتُطرح روايات عن وجود خلافات وشروخ واضحة داخل إيران، بين من يريد السلام والهدنة والاتفاقات، ومن يفضل الحسم بالقوة. وبين هذا وذاك، يبدو المشهد الإيراني ضبابيًا؛ وربما تعكس هذه الضبابية طبيعة نظام تعددي المؤسسات، حيث لا تفرض جهة واحدة رأيًا حاسمًا على أخرى، وربما تكون أيضًا إستراتيجية مقصودة لإدارة مسارات متعددة في آن واحد، بين الدبلوماسي والسياسي والعسكري.

إما أن تكون هذه الهدن محاولة لإيجاد حل نهائي لهذا الصراع المستنزف لجميع الأطراف، أو أنها مجرد كسب وقت لإعادة ترتيب الأوراق والتحضير لجولة حرب جديدة

وفي المحصلة، ورغم غياب بعض قادة الصف الأول، فإن إيران، وإن كانت متضررة، ما زالت فاعلة، وهو ما يفرض ضغوطًا إضافية على واشنطن وتل أبيب، ويعقّد الحسابات السياسية والعلاقات الدولية.

في المقابل، إسرائيل أيضًا لن تعترف بهزيمة، رغم أنها لم تحقق أحد أهم أهدافها، وهو إسقاط النظام الإيراني الذي وعد به بنيامين نتنياهو. لكنها ستسعى إلى تقديم ما جرى بوصفه انتصارًا إستراتيجيًا، عبر الحديث عن الهيمنة الإقليمية وتدمير قدرات إيران وإضعاف حزب الله.

كما أن سلوكها خلال السنوات الأخيرة يوحي بوجود عقلية أمنية – عسكرية ذات طابع انتقامي، لا تتقبل بسهولة نتائج لا ترقى إلى مستوى التوقعات. فبعد حرب الأيام الاثني عشر يوما مع إيران، والتي شهد فيها العالم استهداف الداخل الإسرائيلي وتكبّد خسائر، وهو أمر غير مسبوق، بدا أن تل أبيب لم تستوعب الصدمة بالكامل، وبقيت تبحث عن فرصة لاستعادة الردع.

وتشير تقارير، بينها أميركية، إلى أن تلك الحرب جاءت بدفع إسرائيلي نحو إدارة ترامب. ومع ذلك، لم تحقق الهدف الأبرز المتمثل في إسقاط النظام الإيراني، رغم محاولات نتنياهو مخاطبة الداخل الإيراني وتحفيزه على التغيير.

لكن حتى الآن، لم يشهد الشارع الإيراني تحركات واسعة، لأسباب داخلية وخارجية متعددة، ما يجعل الرهان على انفجار داخلي محدود النتائج. لذلك، فإن العقلية الإسرائيلية التي لا تقبل الفشل بسهولة تجعل أي مسار سياسي أو قبول بالوضع الراهن أمرًا غير مضمون.

أما الولايات المتحدة، التي يُحمّلها كثيرون مسؤولية جزء من الفوضى العالمية، فقد ساهمت سياساتها في تعقيد المشهد الإقليمي وزيادة حالة عدم الاستقرار. إدارة ترامب، التي قدّمت نفسها كإدارة سلام، تبدو في ممارساتها مغايرة لذلك، بحسب منتقديها، من خلال تصريحات متناقضة وتحركات مفاجئة وخطاب متقلب، ما يرفع منسوب القلق وعدم اليقين.

وفي ظل عدم تحقيق أهداف حاسمة، كإسقاط النظام الإيراني أو فرض سيطرة كاملة على مضيق هرمز، قد ينعكس هذا الأداء على صورتها الدولية، ويفتح المجال أمام قوى أخرى لتعزيز مواقعها.

أما داخليًا، فتبقى صناديق الاقتراع الفيصل في تقييم هذه السياسات.

أما لبنان، هذا البلد الصغير، فقد كان في كثير من الأحيان ورقة ضغط بيد أطراف متعددة. دولة تعاني من هشاشة عميقة نتيجة تراكمات من الفساد السياسي والاقتصادي، وانهيار مالي، واحتجاجات لم تُفضِ إلى تغيير جذري، وانفجار مرفأ بيروت، فضلًا عن تداعيات الحرب والغارات المستمرة. كل ذلك جعل الدولة في حالة شلل وضعف بنيوي واضح.

اليوم، لا تملك الحكومة اللبنانية سوى هامش محدود، يتمثل في العودة إلى مسار التفاوض غير المباشر مع إسرائيل، رغم هشاشته وتعقيداته. وقد يفتح هذا المسار الباب أمام انقسامات داخلية أعمق، خاصة مع وجود قوى ترفضه.

كما أن إعلان الجيش الإسرائيلي إنشاء "خط أصفر" في جنوب لبنان، على غرار ما هو قائم في غزة، يعني فرض منطقة أمنية مشددة تمنع عودة السكان إلى عشرات القرى، وتمنح إسرائيل حرية استهداف ما تعتبره تهديدًا، وهو ما يعكس فجوة واضحة بين المسار الميداني والمسار الدبلوماسي.

الخلاصة: ما يحدث على الأرض لا يتوازى مع الخطابات السياسية أو المسارات الدبلوماسية.

في ظل هذا المشهد المعقد، تبقى الأسئلة مفتوحة: ماذا سيحدث؟ كيف ستنتهي هذه الحرب؟ وهل نحن أمام جولة جديدة أكثر اتساعًا وتعقيدًا؟ ومن سيعلن الهزيمة؟ وعلى أي أساس يمكن تعريفها في صراع بهذا التشابك؟

وأي مسار سيكون الأقرب إلى المنطق: هل تبحث الأطراف عن مخرج من حرب استنزفت الجميع، أم أن منطق الحرب نفسه أصبح جزءًا من آلية البقاء، بحيث تتحول المواجهة إلى أداة لإعادة إنتاج النفوذ وتثبيت المواقع بدلًا من أن تكون طريقًا للحسم؟

بغضّ النظر عن السيناريو المقبل، تبقى شعوب المنطقة، المنهكة أصلًا، هي من يدفع الثمن في كل الاحتمالات، وتظل رهينة لهذا الضباب الكثيف من عدم اليقين.

روايات متناقضة.. للنصر

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

سعيد خطيبي يغوص في دوستوبيا التشوّه في «أغالب مجرى النهر»

الرواية تكشف صراعات الخيانة والإخفاء في الجزائر ما بعد التحرير

تُعدّ الرواية المعاصرة فضاءً رحباً لاستكشاف تحوّلات الإنسان في عالم مضطرب، حيث تتقاطع الأسئلة الوجودية مع الأزمات الاجتماعية والسياسية. ومن خلال هذا الأفق، تنفتح السرديات الحديثة على تمثيل التشوّه والاغتراب، كاشفةً عن صراعات الذات داخل واقع مأزوم، وعن توترات العلاقة بين الفرد ومحيطه في زمن تتسارع فيه التحوّلات.

علي حسن الفواز
صحافي سوري

هل يمكن أن نعدّ رواية "أغالب مجرى النهر" للروائي الجزائري سعيد خطيبي، الصادرة عن دار هاشيت أنطوان/ بيروت 2025، تمثيلاً ثقافياً لسرديات التشوّه، ولعوالم تعيشها شخصيات مشوّهة، متورطة بأزماتها الوجودية والنفسية والأخلاقية من خلال سلسلة من الخيانات التي تصنعها؟

تنكشف هذه السرديات على عالمين متوازيين: الأول يرتبط بأحداث تمتد من الحرب العالمية الثانية إلى تسعينات القرن الماضي، والثاني يرتبط بأحداث العنف الأصولي الذي عاشته الجزائر، وما يجمعهما هو التمثيل السردي للإسقاطات التي تصنعها، عبر مظاهر العنف الاجتماعي والسياسي والخيانة والفساد، وعلى نحو يفضح فيه هذا التمثيل "المسكوت عنه" للشخصيات الخائنة: الأب، الأخ، الزوج... وكأن الروائي أراد توظيف سردية الفضح لتعرية تلك الشخصيات، حيث تتحول جريمة قتل الزوج مخلوف/ الطبيب الشرعي إلى "عتبة سردية" يتحرك فيها مجرى السرد عبر الفضح، مثلما يتصاعد التوالي السردي عبر تقصّي المخفي في جرائم موازية، تتمثلها الخيانات المهنية، والتشوّهات الوطنية، والاغترابات الوجودية.

سرديّة الفضح

تتوزع لعبة السرد في الرواية داخل تشكّلات بنائية متعددة، فجعل الروائي من حكاية – قتل الزوج مسموماً – مدخلاً للتعرّف على مآزق الشخصيات الأخرى، حيث فضح هواجسها الداخلية، وكشف عن علاقاتها المشوّهة مع بعضها الآخر، حتى تبدو سردية التشظي الوجودي وكأنها كناية عن سرديات التشظي الاجتماعي والسياسي الذي عاشته الجزائر في مراحل متعددة، وعبر شخصيات أضحوية، وشخصيات أسقطتها الأيديولوجيا في الخيانة، مثلما أسقطتها هامشيتها ورثاثتها في الفساد، كاشفة عن إسقاطاتها النفسية والاجتماعية والأخلاقية، وعن سخريتها من النضال والتحرير والثورة.

التحقيق مع الزوجة عقيلة، ومع الأب عزوز المتهمين بقتل الزوج، جعل من حبكة الرواية وكأنها محكومة بإطار "بوليسي"، لكن هذا الحكم ليس سوى توصيف مخادع وإطار خارجي، فإخفاء الجريمة يجعل الشخصيات متوترة ومسكونة بقلق وبمشاعر متناقضة، تتوزع بين رعبها الداخلي وتشوهها الوجودي، وبين خياناتها "الوطنية" والمهنية، بوصفها شخصيات مأزومة في واقع مأزوم، حيث تتناظر خيانة الزوجة طبيبة العيون، التي يدفعها زوجها إلى "اقتلاع قرنيات الموتى" وزرعها في عيون المرضى مقابل أموال كثيرة دون موافقة ذويهم، مع خيانة زوجها لمهنته، ومع اتهام أبيها بالخيانة ووصمه بأنه "حركي"، وهي تسمية للذين يتعاونون خفية مع الاستعمار الفرنسي.

ثيمة الإخفاء في الرواية تتحول إلى سردية مهيمنة، فبقدر ما تتخفى فيه الجريمة، فإن الشخصيات تعمد إلى إخفاء تشوهها الداخلي، حيث يُخفي الزوج عمله في المشرحة بعيداً عن أعين الزوجة، والأب يُخفي أزمته الشخصية وعقدة اتهامه بالخيانة عن أهله وأولاده بعد رفضه تفجير دكان شقيقه، وكذلك يُخفي الابن ميلود علاقاته المشبوهة والمنحرفة عن أبيه.

شخصيات متوترة بمشاعر متناقضة (لوحة للفنان هاني دلة علي)

هذا الإخفاء يجعل الشخصيات تعيش تناقضاتها واضطراباتها، بوصفها شخصيات واقع سياسي واجتماعي رثّ، فهي مخدوعة ومخادعة، موهومة وباحثة عن ذاتها، يلجأ بعضها إلى التمرد والكراهية والخرافة، وبعضها الآخر يلجأ إلى الخيانة أو الجريمة، كما حدث مع الزوجة التي تعيش مع زوجها واقعاً سوداويًا، فتُتَّهم بقتله تحت ضغط انكسارها النفسي، وشغفها بالتخلص منه، والتمرد على دونيتها، وعلى وجودها الاضطهادي، وعلى ما يتخفى من العنف الذكوري الجسدي والنفسي الذي يمارسه الزوج عليها.

تبدو الجريمة وكأنها فضح للمخفي من واقع المدينة الدوستوبية، وتفريغ نفسي للمكبوت فيها، مثلما يبدو "حدث الجريمة" حدثاً مولّداً لجرائم داخلية، يستغرقها إحساس الأب بالمهانة جراء اتهامه بالخيانة، ورفضه احتكار الزوج القتيل المال الكبير الذي يجنيه بسبب الأعمال غير المشروعة، وكذلك إحساس الزوجة بالدونية، وإحساس الابن بالتهميش والعزل الاجتماعي.

الصادم في الرواية هو فضح علاقة الجرائم الفردية بالجرائم الكبرى الاجتماعية والسياسية، عبر تتبع خفايا شخصياتها

ما يبدو صادماً في الرواية هو فضح علاقة هذه الجرائم بالجرائم الكبرى الاجتماعية والسياسية، عبر تتبع خفايا شخصياتها وما تتورط به من صراعات وتوترات، يختفي فيها القاتل الحقيقي في جريمة قتل الزوج، حتى يتحول إلى قاتل رمزي، يجعل منه الروائي حاملاً سيميائياً لأزمة مجتمع يواجه أسئلة صادمة تطرحها مرحلة ما بعد "التحرير" الشائكة، ومحنة التشظي الاجتماعي، والانفتاح على عالم غرائبي يمور بصراعات عميقة.

ويتبدى ذلك من خلال تلك الشخصيات "المتشظية"، حيث الأم "قمرة" الشاكة والمسكونة بالخرافة والكراهية، أو الزوجة المضطهدة والمعطوبة الشخصية، أو الأخ المنتقم لهزائمه الداخلية، والأب الباحث عن الخلاص من عاره النرجسي ومن فضائحه الوطنية، وهذا ما يجعل قصدية تغييب القاتل جزءاً من البناء المعقّد للرواية، لوضع القارئ أو استفزازه إزاء سرديات تتشابك حبكاتها وتتعدد أصواتها.

المكان وسردية التحول

اختيار المكان له إحالته المفارقة، فمدينة "بوسعادة" الصغيرة والبعيدة عن العاصمة تتحول إلى بؤرة سردية تتضخم عبرها الأحداث والصراعات، مثلما تتضخم فيها أقنعة الشخصيات، فبقدر ما تبدو وكأنها "مكان دوستوبي"، فإن تمثيلها الوجودي والنفسي يرتبط بثيمتي الإخفاء والفضح، حيث يتحول التناقض فيها إلى استغراق عميق لصراع تلك الشخصيات، عبر فسادها وخيانتها، كاشفاً عن التوصيف الطبقي والثقافي الرثّ لوجودها.

ورغم أنها شخصيات "نخبوية"، إلا أنها تظل هامشية، معطوبة، ومسكونة بتشوّهات "العقل الهجين" على مستوى البناء النفسي والجندري المضطرب، أو على مستوى علاقتها المشوهة بالقيم الثقافية للمدينة البرجوازية، في تمثيل أسئلة مرحلة ما بعد التحرير الوطني، أو مرحلة العشرية السوداء التي تضخم فيها عنف الخطاب السلفي، مثلما تضخمت فيها مظاهر الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

ارتبطت ذاكرة الأب بسيرة انسلاخه عن المكان، وما ترتب عليها من تشوهات أفقدته الألفة والإحساس بالانتماء، فالهجرة من بيئته الأولى اضطراراً بعد الجدب الذي تعرّضت له قريته إلى المدينة الصاخبة بدت وكأنها "مفارقة ميثولوجية"، فتحولت إلى لعنة أصابته وعائلته، تركته وحيداً إزاء عالم معقد، وصراع وجودي دفعه إلى البحث العبثي عن وجود موازٍ، حيث الانخراط في جبهات الحرب العالمية الثانية، وحيث الذهاب إلى عالم السياسة و"النضال" والمشاركة في حربٍ التحرير، لكن ذلك لم يجعل منه "بطلاً" أو ثورياً بالمعنى "الماركسي"، بل ظل مسكوناً بأزمته العميقة، وباضطرابه الذي دفعه إلى الخلاف مع "رفاقه" في الرأي والموقف، ليجعلوا منه خائناً للوطن.

تتوزع الرواية بين قسمين، أو بين صوتين رئيسيين: البنت المتهمة بالقتل، والأب الذي يشاطرها الاتهام، وباتجاه يجعل من هذا التوزع مكشوفاً على حكايات تتنامى وتتضخم من خلال الشخصيات المأزومة والخائنة والفاسدة، لتكشف عن واقع سوداوي، وعن عالم يحيل إلى دوستوبيا وجودية، وإلى صراعات تكشف عن "المسكوت عنه" وعن العيوب النسقية، وما تحمله من قبح أخلاقي ونفسي، وعن سرديات ليست بعيدة عن المخفي في "عالم الثورة" ولا عن بعض شخصياتها التي قد تنكسر أو تفقد ثقتها بالحلم، فتعيش أزماتها وهزائمها الشخصية وكأنها هزائم وجودية وتقويض للذات والهوية.

فولتير تحت مجهر خصومه: حين تكشف الحداثة تناقضاتها من الداخل

أيمن حسن يعيد قراءة حداثة الأنوار بين مناهضة جوزيف دي مايستر وملل بودلير

غالبا ما تطرح الحداثة بشكل سطحي لا يعي الصراعات التي شكلتها من الداخل، والجدل الذي رسّخها في المجتمعات الغربية. من هنا تكمن أهمية إثارة الجدل من جديد حول أفكار واحد من أهم رموز الحداثة، فولتير، وما أثارته من حفيظة جوزيف دي مايستر من جهة، وشارل بودلير من جهة أخرى، لكشف المسار الذي تأسست عليه الحداثة من الداخل في أبعادها الفكرية والروحية والجمالية.

محمد ناصر المولهي
كاتب تونسي

شكّل الملتقى الدولي "حداثات فولتير"، المنعقد يومي السادس عشر والسابع عشر من أبريل الجاري بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، مساحة هامة لإعادة النقاش حول الحداثة وما واجهته من أطراف مناهضة لها، ما مثل حركيّة هامة لم تتوقف في حدود السياسة والفكر، بل تمددت إلى الجمالي والفني.

وإن تعددت المداخلات العلمية الهامة التي أعادت قراءة إرث فولتير، فإن مداخلة الدكتور أيمن حَسَن بعنوان "فولتير ضد جوزيف دي مايستر: الحداثة، ضد الحداثة، والإرث النقدي" مثلت مساحة هامة تكشف المبارزة الفكرية بين توجهين مختلفين.

ضد حداثة فولتير

"أشعر بالملل في فرنسا لأن الجميع فيها يشبه فولتير"، بهذه العبارة الشهيرة لشارل بودلير انطلق حسن في تقديم ورقته النقدية، لافتا إلى ما تنطوي عليه من استفزاز وغموض، إذ لا تمثل مجرد نزوة سجالية، بل تنخرط في تفكير حقيقي حول ما نسمّيه بالحداثة. فإذا كان فولتير يجسّد، بشكل يكاد يكون نموذجياً، روح عصر الأنوار، فإن هذه الحداثة قد تشكّلت أيضا ضدّ منتقديه وأحياناً بفضلهم. ومن بين هؤلاء جوزيف دي مايستر، الذي يحتل مكانة هامة في الطرف المقابل. أمّا بودلير، بوصفه وريثاً مفارقاً، فإنه ينقل النقاش من الحقل الفلسفي إلى مساءلة جمالية ووجودية.

ويضيف حسن متسائلا "من ثمّ، يفرض السؤال نفسه: ماذا يتبقى من حداثة فولتير عندما نعيد قراءتها على ضوء أشدّ منتقديه حدّة؟".

وإجابة عن هذا السؤال أسس مقاربته حول ثلاثة عناصر أساسية: أولاً، الحداثة الفولتيرية بوصفها مشروعاً نقدياً؛ ثانياً، الاعتراض الميستري بوصفه مناهضة حداثة مُنظّمة؛ وأخيراً، القراءة البودليرية بوصفها تحويلاً جمالياً لهذا الصراع.

وانطلق أولا من قناعة فولتير بأن الحداثة قوة نقدية، مؤكدا أن حداثة فولتير تقوم أساسًا على فعل جوهري هو: إخضاع المعتقدات والمؤسسات والتقاليد للفحص النقدي، مستشهدا بأعمال مثل "القاموس الفلسفي" و"رسالة في التسامح"، التي يهاجم فيها التعصّب الديني والظلم القضائي والاستبداد. وتمثل قضية كالا مثالا بارزا، حيث لم يعد الأمر مجرد تفكير فلسفي، بل تدخلا مباشرا في المجال العام لإحقاق العدالة.

وبذلك يبتكر فولتير شكلًا جديدًا من الكتابة، قائمًا على الوضوح والسخرية والفعالية الجدلية، ما يجعله من أوائل نماذج المثقف الحديث.

ويستدرك حسن "لكن هذه الحداثة النقدية تقوم على افتراض أساسي: الثقة في العقل. فالعقل هو أداة الفهم ومبدأ التحرر في آن واحد، إذ يزيل الأوهام ويكشف الاستبداد ويفتح أفق التقدم".

فولتير، في نظر دي مايستر، يمثل فكرا لامعا لكنه سطحي، غير قادر على إدراك عمق الواقع

غير أنّه يكشف أن هذا الافتراض نفسه سيكون موضع اعتراض. متسائلا فهل يمكن للعقل، في سعيه إلى التنوير، أن يتحول إلى نوع من العمى؟ وهل يؤدي تقليص الدين إلى أبعاده السلبية إلى تجاهل جوهره العميق؟ وهنا تبدأ ملامح نقد جوزيف دي مايستر لفولتير.

العنصر الثاني وسمه حسن بـ"جوزيف دو ميستر أو ضدّ الحداثة بوصفه وعيًا بالمقدّس"، ففي مواجهة فولتير، يقدم دي مايستر فكرًا مختلفًا جذريًا. ففي "سهرات سانت بطرسبورغ" يصرّح بأن فولتير لا يمكن أن يكون مرجعًا، رغم إمكانية الاستشهاد ببعض عباراته الذكية.

هذا الموقف يكشف، وفق المحاضر، نقدًا عميقًا: ففولتير، في نظر دي مايستر، يمثل فكرًا لامعًا لكنه سطحي، غير قادر على إدراك عمق الواقع.

بالنسبة إلى دي مايستر، لا تقوم المجتمعات على العقل وحده، بل على أسس مقدسة: التقليد، السلطة، والتضحية. ومن هنا، تصبح الثورة الفرنسية في نظره نتيجة مأساوية لعقل الأنوار، الذي هدم الأسس الدينية والرمزية للمجتمع.

لكن هذه "الضدّ حداثة" لا تقتصر على موقف رجعي بسيط. كما يوضح أنطوان كومبانيون، فإن "اللامحدثين" هم أيضًا مفكرون داخل الحداثة نفسها، يكشفون حدودها وتناقضاتها.

وما يلفت الانتباه الربط القوي بين دي مايستر وكاتب هزت شذراته القرن العشرين، إذ يذكر في هذا السياق أن إميل سيوران يظهر بوصفه امتدادًا حديثًا لدي مايستر، إذ يعترف بقدرته على كشف العنف الكامن في التاريخ البشري.

نقد من الداخل

أما العنصر الثالث في مداخلة الدكتور أيمن حسن فقد تناول مسألة "بودلير أو الحداثة التي تعارض نفسها". فمع الشاعر الفرنسي الأبرز بودلير، تنتقل نقدية فولتير إلى مستوى مختلف. فحين يعبّر عن ملله من فرنسا "الفولتيرية"، فهو لا يهاجم شخصًا، بل ذهنية كاملة قائمة على عقلانية معيارية أصبحت شكلًا من الامتثال.

ويؤاخذ بودلير على فولتير ما يسميه "ضد الشعرية"، أي عجزه عن إدراك عمق الشرّ وجمال المأساة وتناقض الوجود، وهنا، يلتقي جزئيًا مع دي مايستر الذي أعجب به.

لكن بودلير لا ينتمي إلى الفكر الرجعي، بل يعيد صياغة الحداثة من الداخل، كاشفًا عن توتراتها وانكساراتها. فحيث يرى فولتير التقدم، يرى بودلير "الملل الوجودي". وحيث يرى العقل النور، تكشف الشعرية الظلال والقلق. وبالتالي، فإن نقده لفولتير ليس فلسفيًا بقدر ما هو جمالي وشعري، يقابل وضوح الأنوار بعمق الغموض.

وواصل حسن قائلا "إن إعادة قراءة فولتير عبر جوزيف دي مايستر وشارل بودلير لا تعني مجرد مواجهة بين الحداثة وخصومها، بل تكشف أن الحداثة نفسها تتشكل من داخل نقدها. فدي مايستر يكشف هشاشة العقلانية وإهمال المقدّس، بينما يبرز بودلير نتائجها الوجودية: الملل، فقدان المعنى، والانفصال عن العالم".

وهكذا، يخلص الدكتور أيمن حسن إلى أن الحداثة الفولتيرية ليست بنية مغلقة، بل مجال من التوترات الفكرية التي تكشفها قراءات خصومها. فدي مايستر يبرز حدود العقل، وبودلير يكشف أزمته الوجودية والجمالية، مما يجعل الحداثة فضاءً مفتوحًا لإعادة التأويل المستمر، لا يقينا نهائيا، قائلا "ربما تكمن راهنيتها الحقيقية في هذا تحديدًا: ليس في يقينها، بل في الأسئلة التي لا تزال تثيرها".

أيمن حسن: راهنية الحداثة في الأسئلة التي لا تزال تثيرها

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

«عملاق» سيرة ذاتية تروي حكاية صعود الملاكم نسيم حميد

فيلم يكشف الوجه الآخر لأحد أشهر الملاكمين ويطرح سؤال: من هو البطل الحقيقي؟

لولا بريندان إنجل لما كان هناك نسيم حميد

يستعيد فيلم "عملاق" سيرة الملاكم البريطاني من أصول يمنية نسيم حميد، عبر معالجة درامية تمزج بين المجد الرياضي والصراع الإنساني. لا يكتفي العمل برصد مسار بطل استثنائي، بل يغوص في العلاقة المعقدة مع مدربه، كاشفا كيف يصنع النجاح وكيف تزرع بذور الانكسار؟

علي المسعود
كاتب عراقي

يستلهم فيلم "عملاق" القصة الحقيقية للملاكم البريطاني ذي الأصول اليمنية الشهير نسيم حميد، أحد أكثر الأسماء إثارة للجدل والاهتمام في تاريخ الملاكمة الحديثة، وهو من إخراج وتأليف روان آثال، وبطولة أمير المصري في دور نسيم، وبيرس بروسنان في دور مدربه الأسطوري بريندان إنجل.

يتتبع الفيلم قصة صعود نسيم حميد، الملاكم اليمني البريطاني الجنسية، من شيفيلد، الذي كان أيضا بطلا في العالم للناطقين بالعربية، وأول بطل عالمي بريطاني مسلم في الملاكمة، وكان معروفا بثقته في الحلبة وخارجها، والغطرسة التي أصبحت أسلوبه المميز عندما كان يرقص حول خصومه متجنبا ضرباتهم.

كل هذه الصفات قد تجعل السيرة الذاتية مثيرة للاهتمام، لكن فيلم روان آثال يمنحنا منظورا آخر، يتعلق أيضا بمدرب حميد، بريندان إنجل، وهو ملاكم سابق من أصل أيرلندي كان يدير ناديه الخاص في شيفيلد. كان إنجل معروفا بأساليبه غير التقليدية، حيث كان غالبا ما يجمع بين المحترفين والهواة الشباب في الحلبة. اعتنى بالصبي منذ سن السابعة كأب، بعد أن لاحظ حركة قدميه الذكية.

كما يبرز الفيلم التعليقات العنصرية المستمرة التي تلقاها حميد طوال مسيرته، والتي دفعته ليصبح واحدا من أعظم الملاكمين في التاريخ.

تبدأ القصة في شيفيلد في الثمانينات ونشاهد نسيم حميد منذ الطفولة في منزل يمني – بريطاني يواجه عنصرية عابرة حتى ذروة مسيرته عبر الأطلسي، حيث يصبح أول بطل عالمي بريطاني مسلم.

تأتي الدفعة الأعمق من خلال الرابط بين المقاتل الجريء ومدربه الإيرلندي الأصل، يُعلم إنجل الفتى نسيم كيف يحول العداء من حوله إلى قوة تنافسية، وهو درس يبدأ كدرع ثم يتحول إلى غرور يغذيه المال. هذا التحول يكسر علاقة تبدو كأنها علاقة بين أب وابن بديل.

نتعرف إلى إنجل والقرارات التي اتخذها لمصلحة الملاكم نسيم حميد لمساعدته تحت جناحه. تبناه وتصرف تقريبا كأب، حتى إنه أحضره إلى منزله وقضى معه الوقت نفسه مثل أطفاله، مما خلق رابطة لا تنكسر بينهما. لكن لم يكن مقدرا لهما أن يكونا ثنائيا طوال حياتهما، إذ انفصلا في ذروة مسيرة الملاكم.

صعود نسيم حميد إلى النجومية ليس أقل من قصة أسطورية عن شخصية متعجرفة للغاية داخل الحلبة وخارجها هي ما أبقاه متزنا، بشكل ساخر. كان الملاكم يعلم أنه رائع ولم يسمح لأحد أن يقنعه بخلاف ذلك. وكان مدربه يزرع فيه الكراهية لخصمه في الحلبة ويتعمد استفزازه حتى لو لم يقل كلمة.

وأتقن الممثل المصري – البريطاني أمير المصري اللهجة اليوركشايرية، ومن الواضح أنه درس بعناية تعبيرات وجه حميد، حيث كان يتجاوب مع الكاميرا دون عناء، في حين لعب الممثلان الطفلان غيث صالح وعلي صالح، دور حميد في مراحل طفولته، وأبديا إتقانا كبيرا للشخصية.

تعود بنا الكاميرا إلى ثمانينات القرن العشرين، وكيف أحضرت أم شابة أحد أبنائها إلى صالة ألعاب رياضية محلية يديرها ملاكم متقاعد. إنها تريده أن يساعد أولادها على مواجهة المتنمرين العنصريين الذين يصادفهم كل يوم في المدرسة. منذ البداية، يكتشف بريندان أن نسيم لديه موقف يجعله يبرز من جميع المقاتلين الآخرين في صالة الألعاب الرياضية الخاصة به. لديه تفاخر مغرور، يرعاه بريندان، ويعلمه كيفية توظيفه لإغضاب خصومه. هذا يعني أنهم يرتكبون أخطاء، والأخطاء تعني أنهم ضعفاء.

في نهاية المطاف، مع انتقال نسيم من النجاح المحلي إلى المجد الدولي، يبدأ في الاستياء من مدربه. يعتقد أن الرجل الأكبر سنا يأخذ الكثير من الفضل في موهبته، ناهيك عن الكثير من العمولة على أرباحه. في ذلك الحين، انقلبت الثقة بالنفس والغطرسة التي رعاها بريندان بعناية فائقة ضده.

فيلم يبرز التعليقات العنصرية التي تلقاها حميد طوال مسيرته، والتي دفعته ليصبح واحدا من أعظم الملاكمين في التاريخ

إذا محور فيلم "عملاق" يكمن في العلاقة المعقدة بين نسيم حميد ومدربه بريندان إنجل، التي تعد المحرك الأساسي للسرد. هذه العلاقة تتجاوز إطار مدرب ولاعب لتأخذ أبعادًا أبوية وإنسانية عميقة؛ فبريندان يمثل صوت الانضباط والخبرة والسيطرة على الفوضى التي تصاحب الموهبة الفطرية، بينما يجسد نسيم الحرية والاندفاع والرغبة في كسر القيود. والصدام بين الطرفين لا يُقدَّم كخلاف تقني، بل كصراع إنساني وبحث دؤوب عن السبب الحقيقي وراء نجاح نسيم.

لكن الملاكم نسيم ومكتشفه إنجل لديهما انقسام لاذع، حيث يشعر كل منهما بأن مساهماته الخاصة لم يتم تقديرها وأن مساهمات الآخر قد تم الإفراط فيها. ادعى حميد أن قدراته في الملاكمة كانت نعمة من الله ولا فضل لأحد في نجاحه، في حين يناقشه المدرب إنجل بالقول "صحيح الله منحك الموهبة، ولكني عملت على تطوير تلك الموهبة، وليس من حقك أن تخفي هذه الحقيقية". تتآكل العلاقة بين حميد وإنجل، تتسع الفجوة، لا يستطيع المدرب تحمل تلميذه بعد الآن ويغادر على الفور. وقد فشل حميد في نزاله الثاني في الولايات المتحدة، هذا السقوط دفعه إلى الاعتزال في سن 28 عاما.

يصور فيلم "عملاق" في البداية أن حميد احتفظ بلقبه كبطل العالم لوزن الريشة في عام 1997 عندما هزم كيفن كيلي في أول معركة له في الولايات المتحدة بالضربة القاضية في ماديسون سكوير غاردن.

في النهاية، وفي مشهد للمدرب إنجل وهو يتابع في بيته مع عائلته نزال الملاكم حميد مع الملاكم الأميركي باريرا وبعد خسارة تلميذه في لاس فيغاس ينزوي المدرب وحده بحجة الذهاب إلى الحمام ويبكي بحرقة، تلحقه زوجته لتخفف من وطأة الخسارة، وتقول "من الصعب أن ترى أحد أولادك يتأذى، أعلم أنه حطم قلبك" يرد بوجع وألم "لقد تعبت عليه، وأعطيته الحب والرعاية، لكنه أنكر ذلك حين اعتقد أنني لم أفعل شيئا من أجله"، ترد عليه "بالعكس هو يعرف وجميعهم يعرفون، كل الأطفال الذين دربتهم أصبحوا أبطالا، كلنا فخورون بك، لقد أنقذت الكثير من الأطفال والشباب وأصبحوا أبطالا للملاكمة في العالم وجميعهم يشكرونك لمنحهم وقتك".

بعد سنتين على تلك الخسارة، وعند حضوره أحد نزالات الناشئة، يلتقي المدرب إنجل بالملاكم ويبدأ نسيم بالعتاب، لكن المدرب يصرخ بوجهه "عندما حذفتني من عقدك حذفتني من تاريخك، أخبرت الجميع بأن مهاراتك كانت هبة من الله، ولم تكن لي أي علاقة، وأنني مجرد مدرب لياقة، 17 عاما من حياتي أعطيتها لك، 17 عاما دربتك، علمتك، ربيتك في منزلي الخاص مع أبنائي، أخذتك صبيا من الشوارع الخلفية، وحولتك إلى أعظم ملاكم في عصرك، وأكبر نجم على الكوكب وأنت خذلتني وخنتني، لقد حطمتني حين طردتني، كنت كأب لك، وأصبحت أنانيا ومغرورا"، فيرد عليه نسيم "وأنت من نمى هذا الغرور".

درب بريندان نسيم من سن السابعة إلى سن الرابعة والعشرين، فاز نسيم في 36 من أصل 37 نزالا منها 31 بالضربة القاضية. واعتزل الملاكمة في سن الثامنة والعشرين عاما فقط، وكان أول بطل عالمي بريطاني مسلم. في حين واصل بريندان تدريب الناشئة من الملاكمين وقد نجح في تحويل العديد من الملاكمين من هواة إلى أبطال عالميين. ويعرف إنجل بأنه أحد أعظم المدربين في تاريخ الملاكمة البريطانية والأيرلندية والعالمية، عندما توفي في عام 2018 خرجت مدينة شيفيلد لتوديعه.

ويختم الفيلم بمشاهد من الأرشيف للملاكم نسيم، طوال فترة تدريب بريندان له والجوائز التي حصل عليها، ومشاهد لجنازة المدرب في مدينة شيفيلد. في الحقيقة بريندان ونسيم حميد لم يتصالحا أبدا، ومع ذلك عند معرفة نبأ وفاة بريندان، قدم الملاكم نسيم حميد رثاء مؤثرا، يشكره على السنوات التي قضياها معا ولجعله الأمير في الملاكمة.

ويجمع الفيلم بين قراءتين: إنجل كمهندس معماري يحمي ويشكل المواهب، ونسيم حميد كظاهرة تجلب المدينة والرياضة والجمهور عند قدميه. السيناريو لا ينحاز لأي طرف.

يكافح السيناريو أحيانا ويهمش قصة نسيم الشخصية لصالح وجهة نظر إنجل. هذا النهج، على الرغم من أنه جديد، إلا أنه يترك جوانب معينة من حياة الملاكم متخلفة. ومع ذلك، يستخدم آثال أداة سردية ذكية في ذروتها، والتي على الرغم من أنها محبطة للبعض، إلا أنها تجلب بذكاء الصراعات الأساسية للفيلم إلى الواجهة.

يتعامل الفيلم مع إنجل كبوصلة أخلاقية، ويقدمه بوصفه شخصية تبدو وكأنها "العملاق" الحقيقي الذي لا يعترف بأثره. وعندما يصل حميد إلى ذروته، يفشل "عملاق" في اتباع نفس المسار، بل يوجه الأضواء إلى المدرب ولهجته غير المقنعة إلى حد ما. وفي اللحظات النادرة التي نرى فيها مشاعر الملاكم تجاه وضع محاصر بالشهرة والجشع والسياسة العائلية، تكون اللحظات عابرة جدا وهناك شعور بخدش أعمق يحتاج إلى حبكة أكثر. كما أن الظهور الوحيد لزوجة نسيم وطفله، على سبيل المثال، يأتي خلال ظهور قصير مدته 20 ثانية خلال نهاية الفيلم.

هكذا يعيد "عملاق" الكاتب والمخرج روان آثال الحياة إلى القصة الحقيقية لبطل العالم الملاكم الأمير نسيم حميد، وفي حين قد يظن المتفرج أن العملاق في العنوان هو حميد، لكن سرعان ما يتضح تماما أن الفيلم يروي قصة إنجل كمدرب محبوب وعمود لمجتمعه في شيفيلد. التزم الفيلم بأسلوب سيرة ذاتية رياضية مألوف، لكن التركيز على العلاقة المعقدة بين المدرب والملاكم يمنحه عمقا. ويعمل الفيلم بشكل أفضل عندما يركز على الصراع بين حميد وإنجل، موضحا كيف يمكن للفخر والولاء والطموح أن يبني الشراكة ويكسرها.

يترك الأمر الكثير للجمهور ليكتشفه عن حميد خارج ما هو معروف علنا، حيث من الواضح أن الفيلم مهتم أكثر بإنجل. ورغم أن الفيلم ليس مفاجئا للغاية، إلا أنه يوجه لكمات قوية كافية لكل من يتركون أثرا.

كما ركز الفيلم على هوية حميد كبطل مسلم وتعبيراته عن الإيمان والصلاة والشكر لله، والسعي اللاحق للثروة الذي يتصدر المشهد، بينما تثبت الدلالات العرقية في المشاهد الأولى تذكيرا بارزا بتكرار التاريخ الخطير الذي يخيم كغيمة سوداء فوق التشابك السياسي الحالي في المملكة المتحدة. ويستكشف الفيلم بذكاء مواضيع الشدائد العرقية والطبيعة المدمرة للشهرة.

«رقصة الحياة».. إصدار جديد يوثق سيرة الفنان العراقي سعد علي

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

عن دار منشورات "جلجامش" في بغداد، صدر حديثا كتاب جديد يسلط الضوء على تجربة الفنان التشكيلي العراقي المغترب سعد علي، والذي حمل عنوان "رقصة الحياة" بقلم الناقد رحيم يوسف.

جاء الكتاب في حلة فنية مميزة تعكس ثراء التجربة التي يتناولها، حيث تصدّر غلافه تصميم للفنان عبدالكريم سعدون، فيما تولى الفنان علي الدليمي مهام التصميم الداخلي والإخراج الفني للكتاب، ليخرج العمل كوثيقة بصرية تليق بمسيرة المحتفى به.

يغوص الكتاب في عوالم سعد علي عبر محورين أساسيين، هما دراسة نقدية معمقة، حيث يقدم الناقد رحيم يوسف قراءة تحليلية لتطور التجربة الفنية لسعد علي، متتبعا جذور أسلوبه المبتكر، وأرشيف بصري، إذ يضم الكتاب مجموعة كبيرة من الأعمال الفنية المختارة، والتي اشتهر بها الفنان، لاسيما تلك التي تتميز بالقياسات الكبيرة، التي تمنح أعماله رهبة وحضورا طاغيا، وبالأسلوب المتفرد الذي يمزج بين الحداثة والروح الشرقية، فضلاً عن المضامين الإنسانية، حيث تظل قضايا الإنسان وجوهر وجوده هي الثيمة المركزية التي تدور حولها ريشة الفنان في "رقصة حياته" الممتدة.

يعد هذا الكتاب إضافة نوعية للمكتبة التشكيلية العراقية، كونه يوثق لمسيرة أحد الفنانين المهاجرين الذي لم تنقطع صلته بجذوره الإبداعية رغم سنوات الاغتراب.

لقد انطلقت مسيرة سعد علي من أزقة مدينته الديوانية (مواليد 1953) وصولا إلى بغداد وتحديدا الكاظمية والحيدرخانة، حيث عاش حياة ملؤها الكفاح لإثبات هويته الفنية.

برزت موهبته قبل سن العشرين، حيث عمل في التصميم وشارك في تأسيس "جماعة الخط" في الديوانية، ثم عمل في محترف الفنان هاشم الورد ببغداد، إضافة إلى عمله في الصحافة وجداريات ساحات بغداد.

وبدافع البحث عن الحرية الفنية والمعرفة، غادر إلى إيطاليا في مغامرة محفوفة بالمخاطر ودون دعم مادي، مفضلاً إياها على زمالة دراسية في موسكو كان يخشى أن تقيد حريته.

في الفترة ما بين 1972 و1977 درس التصميم الغرافيكي في أكاديمية بغداد بالعراق. وفي السنوات بين 1977 و1981 درس الفن الحديث في فلورنسا وبيروجيا بإيطاليا.

وبين عامي 1984 و1995 كان يعيش ويعمل في هولندا، ثم عاش في الفترة بين عام 1995 و2004 في فرنسا. وهو مقيم في فالنسيا بإسبانيا منذ عام 2004.

تأثر الفنان سعد علي بكبار فناني عصر النهضة في إيطاليا مثل بوتشيلي، من خلال عمله في متحف "الأوفيزي"، كما تأثر بالمدرسة الفلمنكية ورموز الحداثة مثل بيكاسو ودالي في فرنسا وإسبانيا.

عرضت أعماله في كبرى المتاحف والصالات الأوروبية، وتعامل مع صالات عرض مرموقة مثل غاليري "اليازي" في أمستردام، وشارك في تجمعات فنية عالمية في فلورنسا وهولندا وبلجيكا.

يرى سعد علي أن الفن هو بحث مستمر عن الحقيقة والمعنى الإنساني، وهو شعور يتجاوز المادة ويهدف إلى تجسيد الجمال السريع الزوال.

وله مشروع فني بعنوان "باب الفرج"، وهو مشروع بدأه منذ ثمانينات القرن الماضي، يستخدم فيه الأبواب والشبابيك والخشب لدمج الماضي بالحاضر، مستلهما حكايات المشرق العربي وبلاد الأناضول وإيران.

إضافة نوعية للمكتبة التشكيلية العراقية؛ لأنه يوثق مسيرة أحد الفنانين المهاجرين الذي لم تنقطع صلته بجذوره الإبداعية

يصف عملية الرسم بأنها "حوار روحي موسمي" ومسؤولية تشبه ولادة حياة جديدة، مؤكداً على أهمية الهدوء والثقة في الإبداع.

ويمكن أن نخلص إلى أن تجربة سعد علي هي قصة تحول من العدم إلى العالمية، نجح خلالها في الحفاظ على انتمائه إلى حضارة وادي الرافدين مع الانفتاح الكامل على تقنيات وفلسفات الفن الغربي.

في المحصلة، لا يقدّم كتاب "رقصة الحياة" مجرد توثيق لمسيرة فنية، بل يفتح نافذة على تجربة إنسانية عميقة لفنان ظلّ وفيًّا لجذوره رغم اتساع المنافي. إنه شهادة على قدرة الفن على العبور بين الأمكنة والثقافات، وعلى تحويل الاغتراب إلى طاقة خلاقة تعيد تشكيل الهوية وتمنحها أفقًا كونيًا لا ينطفئ.

فنان يحول الحياة والعلاقات إلى رقصات مثيرة

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

تعديلات مرتقبة على قانون الأحوال الشخصية في مصر

حادثة انتحار البلوغر بسنت سليمان تعجّل بوضع حلول عملية لأزمات التقاضي الطويلة بين الأزواج

النفقة ورؤية الأولاد أهم نقطتين في القانون الجديد

وجّه الرئيسي المصري عبد الفتاح السيسي بسرعة الانتهاء من مشروعات القوانين المنظمة لشؤون الأسرة وإحالتها إلى البرلمان، ليتم النظر في مشروع قانون الأحوال الشخصية الجديد، بهدف توحيد التشريعات القائمة وإلغاء تعددها، ووضع إجراءات للحد من الطلاق وتنظيم الذمة المالية للزوجين وتقسيم الثروة المكتسبة أثناء الزواج، والفصل في قضايا النفقة وأجور المسكن والحضانة والمصروفات، ورؤية الأبناء.

القاهرة - على خلفية انتحار البلوغر بسنت سليمان بعد سنوات من النزاعات القضائية المرتبطة بالطلاق والخلع ومسكن الحضانة، عاد مشروع قانون الأحوال الشخصية الجديد إلى واجهة النقاش العام والتشريعي في مصر، بعد توجيهات الرئيس عبد الفتاح السيسي بسرعة الانتهاء من مشروعات القوانين المنظمة لشؤون الأسرة وإحالتها إلى البرلمان، في تحرك وصفته الأوساط البرلمانية والحزبية بأنه نقطة تحول حاسمة في واحد من أكثر الملفات الاجتماعية حساسية.

ويستهدف مشروع قانون الأحوال الشخصية الجديد، الذي تم الانتهاء من إعداده نهاية عام 2022 وجرى عرضه على رئيس الجمهورية، إعادة تنظيم الإطار القانوني للأسرة عبر توحيد التشريعات القائمة وإلغاء تعددها.

كما يحمل مشروع قانون الأحوال الشخصية الجديد أهمية استثنائية، كونه يمس بشكل مباشر ملايين الأسر المصرية، ويُنتظر أن يضع حلولًا عملية لأزمات التقاضي الطويلة في قضايا الأسرة، ويحقق معادلة دقيقة بين حقوق الزوجين وحماية الأطفال والحفاظ على استقرار المجتمع، وهو ما يجعله من أبرز التشريعات المنتظرة خلال دور الانعقاد الحالي.

وتشير النقاشات الأولية داخل الأوساط البرلمانية والحزبية إلى أن أبرز المقترحات المطروحة تشمل تغليظ عقوبات الامتناع عن سداد النفقة، وتفعيل آليات التنفيذ السريع، وتنظيما أكثر وضوحًا لمسائل الاستضافة والرؤية، وإعادة ضبط قواعد الحضانة بما يحقق مصلحة الطفل الفضلى، فضلًا عن فصل مشروع خاص بالأحوال الشخصية لغير المسلمين بما يتسق مع تعاليم الكنيسة المصرية، وهو ما يعكس اتجاهًا نحو تشريع مزدوج يراعي خصوصية كل فئة.

وتعج محاكم الأسرة في مصر بقضايا النفقة والحضانة وبأحكام قضائية لصالح مطلقات تصدر ولا تجد طريقها إلى التنفيذ.

وفي ظل تكرار هذه الحالات داخل محاكم الأسرة، ظهرت مأساة البلوغر بسنت سليمان كواحدة من الصور الأشد قسوة لأزمة ممتدة، تتقاطع فيها الخلافات الأسرية مع تعثر التقاضي وصعوبة التنفيذ.

> المقترحات تشمل تغليظ عقوبات الامتناع عن سداد النفقة، وتفعيل آليات التنفيذ السريع، وتنظيما لمسائل الاستضافة

وفي الأسبوع الفارط، أنهت بسنت حياتها ورمت نفسها من شرفة شقتها بالطابق الثالث عشر في الإسكندرية، بعد سنوات من النزاعات القضائية المرتبطة بالطلاق والخلع ومسكن الحضانة، في واقعة أثارت صدمة واسعة في الرأي العام.

وقد أعادت هذه الحادثة طرح الملف على مستوى أعلى، إذ وجه الرئيس السيسي الحكومة بالإسراع بتقديم مشروعات القوانين المتعلقة بالأسرة المصرية، بما يشمل الأسرة المسلمة والمسيحية وصندوق دعم الأسرة، إلى البرلمان.

وخلال البث، تحدثت سليمان عن ضغوط نفسية حادة وأعباء مادية وخلافات أسرية تراكمت عليها.

وقبل النهاية، وجهت رسالة مؤثرة لمتابعيها أوصت فيها بالاهتمام بطفلتيها، وعبّرت عن شعورها بالظلم، قبل أن تقع الحادثة وسط صدمة من شاهدوا البث.

ولم تكن هذه النهاية المفجعة وليدة لحظة، بل جاءت، بحسب وسائل إعلام وصحف مصرية، بعد سنوات من الأزمات المتتالية، أبرزها خلافات زوجية بدأت مبكرا بسبب غياب التفاهم، إضافة إلى سفر الزوج وتركها دون طلاق رسمي أو توفير نفقة للأطفال.

كما استمرت معاناتها لمدة 4 سنوات داخل أروقة المحاكم، حيث تنقلت بين دعاوى الطلاق والخلع، إلى جانب نزاع مستمر حول مسكن الحضانة الذي كانت تقيم فيه مع طفلتيها.

وخلال تلك الفترة، واجهت الراحلة ظروفا قاسية أخرى زادت من معاناتها، من بينها وفاة والدها، واندلاع حريق في منزلها، إلى جانب أزمات صحية وخسائر مادية. كما تحملت مسؤولية تربية ابنتيها بمفردها، في الوقت الذي واصلت فيه استكمال دراستها رغم كل الصعوبات.

وتكشف هذه الحادثة عن تداخل معقد بين الضغوط النفسية والاجتماعية والقانونية، والتي قد تصل بالبعض إلى مراحل حرجة.

كما تعيد تسليط الضوء على أهمية الدعم النفسي، وتسريع إجراءات التقاضي في القضايا الأسرية، وتوفير بيئة أكثر أمانا للأمهات والأطفال.

ويرى عضو البرلمان ورئيس الهيئة البرلمانية للحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي إيهاب منصور أن "هناك حاجة ماسة إلى قانون جديد لمعالجة القصور الكبير في القانون الحالي، مما يعكس إدراكا متزايدا بأن ما يحدث داخل قاعات محاكم الأسرة لم يعد مجرد نزاعات خاصة، بل أصبح قضية عامة تمس الاستقرار الاجتماعي، وتحتاج إلى معالجة تشريعية تواكب حجم الضغوط التي تتحملها ملايين النساء وأطفالهن".

تحول تدريجي نحو شيخوخة سكانية في المغرب

الرباط - تعيش المملكة المغربية تحولات ديموغرافية حاسمة، تشير إلى تسارع شيخوخة السكان في العقود المقبلة، في ظل انخفاض معدل الخصوبة وارتفاع متوسط العمر المتوقع وتأخر سن الزواج، ما يضعها أمام تحديات كبيرة تتعلق باستدامة أنظمة التقاعد والخدمات الاجتماعية.

وكشف تقرير "وورد بوبيليشن هيلايتز 2026: يوث" الصادر عن الأمم المتحدة عن تحولات ديموغرافية لافتة في المغرب، ترتبط أساسا بتغير بنية الفئة الشابة وتوقع تراجع وزنها خلال العقود المقبلة.

وأفادت معطيات التقرير بأن عدد الشباب المتراوحة أعمارهم بين 15 و24 سنة يُقدّر بحوالي 8.9 مليون سنة 2025، مقابل نحو 7.7 مليون سنة 2000، على أن ينخفض إلى قرابة 6 ملايين بحلول سنة 2050، في مؤشر يعكس بداية انكماش تدريجي لهذه الفئة، وفق ما أوردته وكالة الأنباء المغربية.

وسجل التقرير، في السياق ذاته، تحولا في نسبة الشباب ضمن مجموع السكان، إذ انتقلت من 17 في المئة سنة 2000 إلى 17.8 في المئة سنة 2025، قبل أن يُرتقب تراجعها إلى حوالي 11 في المئة في أفق 2050، ما يؤشر على توجه ديموغرافي نحو شيخوخة نسبية للسكان.

وصنف التقرير المغرب ضمن البلدان ذات الدخل المتوسط التي تعيش مرحلة انتقال ديموغرافي، تتسم بتباطؤ نمو الفئة الشابة مقابل تزايد الفئات العمرية الأكبر سنا.

وفي قراءته لهذه التحولات، أبرز التقرير أن الرهان لم يعد مرتبطا فقط بحجم الفئة الشابة، بل بكيفية الاستثمار في مؤهلاتها، داعيا إلى تحسين جودة التعليم والتكوين، وتطوير المهارات الرقمية، وتعزيز فرص إدماج الشباب في سوق الشغل.

كما شدد المصدر ذاته على أهمية دعم ريادة الأعمال، وتمكين الشباب من الإسهام في الدورة الاقتصادية، إلى جانب رفع الإنتاجية عبر الاستثمار في التكنولوجيا والابتكار، خاصة في الدول التي تعرف تراجعا ديموغرافيا.

وأكد التقرير كذلك ضرورة تعزيز مشاركة الشباب في صنع القرار، وتقوية حضورهم في الحياة السياسية والمدنية، باعتبارهم ركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة.

وعلى الصعيد الدولي، أشار التقرير إلى استمرار التفاوتات في البنية السكانية، حيث تعرف القارة الأفريقية نموا متواصلا في فئة الشباب، مقابل تراجعها في مناطق أخرى، ما يفرض، حسب التقرير، تعزيز التعاون الدولي في مجالات التعليم والتنمية والهجرة.

بدوره، أشار تقرير حديث للمندوبية السامية للتخطيط إلى أن المغرب يمر حاليًا بمرحلة متقدمة من الانتقال الديموغرافي، تقترب تدريجيًا من النماذج السائدة في الدول المتقدمة، حيث ارتفع متوسط العمر المتوقع بشكل ملحوظ، من 47 سنة في عام 1960 إلى 76.4 سنة في 2024، في حين شهد معدل الخصوبة انخفاضًا حادًا من 7.2 طفل لكل امرأة سنة 1960 إلى 1.97 طفل سنة 2024، أي أقل من المستوى المطلوب لتجديد الأجيال.

وتتوقع المندوبية أن يواصل عدد السكان ارتفاعه بمعدل متوسط قدره 230 ألف نسمة سنويًا حتى عام 2040، لكن بوتيرة أبطأ مقارنة بالعقود الماضية، بفضل تحسن الوضع الصحي وتوسع الخدمات الأساسية مثل التغذية والكهرباء والماء الصالح للشرب.

وكان تقرير للبنك الدولي قد حذر من انعكاسات خطيرة لوتيرة الشيخوخة السريعة التي يعرفها المغرب، مقترحًا رفع سن التقاعد تدريجيًا إلى 70 سنة لضمان استدامة منظومة الحماية الاجتماعية والحفاظ على التوازنات الاقتصادية.

وأوضح التقرير، الذي يحمل عنوان "التنمية البشرية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مرحلة التطور"، أن المغرب مقبل على تحديات ديموغرافية واجتماعية معقدة، أبرزها تضاعف نسبة إعالة المسنين من 11 في المئة سنة 2020 إلى أكثر من 26 في المئة بحلول 2050، ما يفرض ضغوطًا مباشرة على الاقتصاد والمجتمع في ظل هشاشة البنى الصحية والاجتماعية.

وكشف التقرير أن متوسط سن التقاعد في القطاع الخاص يبلغ 56 سنة فقط، فيما يمتد متوسط العمر المتبقي للمتقاعدين إلى 26 سنة، وهو ما يفاقم العجز المالي لصناديق التقاعد، لذلك أوصى التقرير بتمديد فترة العمل عبر تشريعات تحفّز الاستمرار في النشاط المهني مع توفير ظروف عمل آمنة وكريمة.

> المغرب من البلدان التي تعيش مرحلة انتقال ديموغرافي، تتسم بتباطؤ نمو الفئة الشابة مقابل تزايد الأكبر سنا

كما شدد التقرير على أن أيّ إصلاح لنظام التقاعد يجب أن يكون متلازمًا مع تحسين الخدمات الصحية وتعزيز الوقاية، خاصة أن ربع المغاربة فوق سن 55 عامًا يعانون من أمراض مزمنة، وهي نسبة تفوق المعدلات المسجلة في دول متقدمة، ما يفرض سياسات اجتماعية وصحية شاملة للتأقلم مع التحولات الديموغرافية المقبلة.

وكان التعداد العام للسكان والسكنى في المغرب قد كشف عن تراجع نسبة الخصوبة وتقلص نسبة الأطفال والشباب، مقابل تزايد نسبة المسنين ما يهدد المجتمع بالتهرم. ويفرض ارتفاع معدل الشيخوخة وتزايد أعداد المسنين المصابين بأمراض مزمنة على المملكة تحديات، أبرزها متطلبات الرعاية الصحية الشاملة والدعم الاجتماعي وأهمية تعزيز الصحة والوقاية من الأمراض وعلاجها طوال مسار الحياة.

ويشغل تدني الخصوبة وازدياد معدلات الشيخوخة قلق السلطات المختصة في المغرب. ومع انتقال المعدل من 1.24 في المئة في سنة 2014 إلى 0.85 في المئة في سنة 2024، وإذا تواصل هذا التقهقر فمن شأنه أن يؤدي إلى شيخوخة ديموغرافية على المدى الطويل، خصوصا وقد أكدت المندوبية السامية للتخطيط أن عدد السكان في المغرب، حسب نتائج الإحصاء، قد بلغ 36.828.330 نسمة.

وكانت المندوبية السامية للتخطيط قد أعلنت أن نسبة السكان البالغين 60 سنة فأكثر ستستمر في الارتفاع، منتقلة من 9.4 في المئة سنة 2014 إلى 12.7 في المئة سنة 2023، ومن المتوقع أن تصل إلى 23.2 في المئة بحلول 2050.

مجتمع يسير نحو التهرم

«الأم الهليكوبتر» تصنع طفلا فاشلا أو منحرفا

واشنطن - يشير خبراء التربة إلى أن ظاهرة الأمهات والآباء الهليكوبتر تنتشر بصفة أساسية بين الطبقة المتوسطة كنتيجة للإحساس بأن أبناءهم يواجهون تحديات كثيرة ويحتاجون إلى المشورة والعون في كل خطوة يخطونها.

وقالت الدكتورة جولي ليثكوت هايمز، مؤلفة كتاب "كيف تربي شخصا ناضجا: تخلص من المبالغة وهيئ أبناءك للنجاح"، "تكمن المفارقة في أن هؤلاء الآباء والأمهات أنفسهم لم ينشأوا بهذه الطريقة، بل كانوا غالبا يتمتعون بهامش واسع من الحرية في التعامل مع ما يواجههم من تحديات وبقدر أكبر من الاستقلال في شؤون حياتهم اليومية".

وأضافت الدكتورة هايمز أن "الكثير من الأمهات يشعرن بأننا نعيش في زمن صعب تزداد فيه المشاكل الاقتصادية والأخطار، وأن النجاح في الحياة في هذا الزمن يتطلب أن يصل مستوى الأبناء إلى حد الكمال في كل شيء من المظهر والدرجات الدراسية إلى الأنشطة الرياضية. ويدركن أن أبناءهن لن يصلوا إلى هذه الدرجة من النجاح في حياتهم ما لم يتابعنهم باستمرار ويساعدنهم كلما تطلب الأمر ذلك".

ترى مؤلفة الكتاب سببا آخر وراء انتشار الظاهرة هو الإلحاح والضغوط الخارجية في البيئة المحيطة مما يدفع إلى محاكاة الآخرين. فقد تشعر الأم بأنها مقصرة في حق أبنائها وأن قريباتها أو صديقاتها أو جاراتها أكثر منها نجاحا كأمهات لمجرد أنهن يلاحقن أبناءهن، ويتدخلن في كل صغيرة وكبيرة في حياتهم اليومية.

وبين الرغبة الفطرية في حماية الصغار وخنق استقلاليتهم خيط رفيع جدا، قد لا تراه الأم إلا بعد فوات الأوان؛ حين يتحول الطفل من "إنسان" له كينونته إلى "مشروع" يجب أن ينجح ليعلن للعالم كفاءة الأم، وتصبح علامات الطفل الدراسية وبطولاته الرياضية، وحتى سلوكه في المناسبات الاجتماعية، شهادةَ الجودة لعمل الأم.

ويرى خبراء التربية أن الإفراط في الحماية يعد نوعا من السم في العسل، مشيرين إلى أن الأم التي تحمي طفلها من كل كدر وتمنع عنه خوض التجارب الصعبة، تظن أنها تساعده، لكنها في الواقع تمنع تطور قشرته الدماغية المسؤولة عن اتخاذ القرارات وحل المشكلات.

وتشير دراسات الجمعية الأميركية لعلم النفس إلى أن الأطفال الذين خضعوا لتربية "الهليكوبتر" يعانون لاحقا من صعوبات بالغة في تنظيم عواطفهم وسلوكياتهم. فالطفل الذي لا يختبر الإحباط وهو صغير، لن يملك الأدوات النفسية للتعامل مع الفشل وهو كبير.

وقالت المستشارة التربوية والأسرية دينا مراد "إن الأم المنقذة غالبا ما تكون مدفوعة برغبة عارمة في المثالية الشديدة، فهي تبحث عن الكمال في كل شيء، وتجد نفسها مندفعة لإنقاذ أطفالها باستمرار. وحتى لو قيل لها إن هذا التدخل المفرط خاطئ، فإنها لا تعرف وسيلة أخرى للتعامل، فدوافعها الداخلية أقوى من أي نصيحة".

وتؤكد دينا مراد أن محاولة إقناع هذه الأم بالتوقف من باب التربية الصحيحة قد لا تجدي نفعا، ولكن المدخل الحقيقي لتنبيهها هو مواجهتها بالحقيقة المرة، وهي أنها مذنبة في حق أولادها لأنها قد تصنع منهم أشخاصا منحرفين.

> الأم تظن أنها تساعد طفلها، لكنها تمنع تطور قشرته الدماغية المسؤولة عن اتخاذ القرار وحل المشكلات

وتشرح ذلك قائلة "أغلب المنحرفين كانوا أبناء لأمهات منقذات، فالابن الذي يُحرم من الاستقلالية في التجارب المسموحة التي تشاركه فيها الأم، يصبح متعطشا إلى التجارب بعيدا عن عينيها. ولأن الأم تسيطر على كل ما هو مسموح به، يبدأ الابن بالبحث عن تجارب غير مسموح بها لن تستطيع الأم معرفتها، ليثبت لنفسه أنه مستقل".

وعلى الجانب الآخر، قد يستجيب الطفل تماما لحماية أمه، فيتحول إلى شخصية فاشلة ومنعزلة عن المجتمع، لأنه لم يمر بتجارب حياتية تمكنه من التعامل مع الواقع، وهذا الانعزال قد ينقلب لاحقا إلى سلوكيات غير سوية.

وقالت أخصائية علم نفس الأطفال الدكتورة فانيسا جنسن "من المهم أن تدع طفلك يرتكب الأخطاء. إذا كنت تعامل ابنك مثل العصفور الذي يجب أن يعود إلى العش فليس هناك فرصة لارتكاب الأخطاء الصغيرة التي يمكنه التعلم منها".

وأضافت أنه إذا كان أحد الوالدين يعمل باستمرار على إصلاح الأشياء لأطفاله، فلن يحصلوا على فرصة للفشل أو التعلم من خلال المحاولة، حيث يُعد ارتكاب الأخطاء جزءًا طبيعيًا من عملية النمو، ورغم أن هذا قد يكون مخيفًا في البداية للأبوين، فإن لدى الأطفال الكثير لتعلمه في الحياة، ويجب أن نسمح لهم بارتكاب أخطائهم الصغيرة الخاصة ليتعلموا منها.

وهناك أمهات وآباء يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة في حياة أبنائهم وبناتهم، ويراقبون أطفالهم باستمرار، ويبالغون في حمايتهم والتدخل في خصوصياتهم إلى درجة لا تترك لهم متنفسا للتعبير عن أنفسهم وبناء شخصياتهم المستقلة بعيدا عنهم، وهم الآباء والأمهات "الهليكوبتر".

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

حنكة سانتوس والعمل المنظم.. عوامل أعادت الجيش الملكي إلى الواجهة الأفريقية

كاردوز يكتب التاريخ بثلاثة نهائيات متتالية في السباق القاري

فكر جديد

تأهل الجيش الملكي المغربي إلى المباراة النهائية من بطولة دوري أبطال أفريقيا، وذلك رغم خسارته أمام مضيفه نهضة بركان في إياب الدور نصف النهائي من البطولة. وسيلتقي الجيش في المباراة النهائية مع صن داونز الجنوب أفريقي، حيث كان الأخير قد تأهل على حساب الترجي الرياضي التونسي. ويعد ذلك التأهل هو الثاني للفريق المغربي، وذلك بعد أن تأهل لنهائي عام 1985، وهي البطولة الوحيدة التي توج بلقبها الفريق في تاريخه.

الرباط - بلغ الجيش الملكي نهائي دوري أبطال أفريقيا، رغم خسارته أمام مضيفه نهضة بركان بهدف دون رد، في إياب نصف النهائي.

واستفاد الجيش الملكي من فوزه ذهابًا بهدفين دون رد، ليضرب موعدا ناريا ضد صن داونز الجنوب أفريقي، في نهائي البطولة. وبهذا الإنجاز حسم زملاء القائد ربيع حريمات تأهلهم للمباراة النهائية لأول مرة بعد غياب دام 41 عاما، وللمرة الثانية في تاريخ النادي.

وسيلتقي "العساكر" في الدور النهائي مع ماميلودي صن داونز الجنوب أفريقي، المتأهل بدوره على حساب الترجي التونسي، حيث يسعى الجيش الملكي للتتويج باللقب للمرة الثانية في تاريخه بعد نسخة عام 1985.

وسيخوض الفريق المغربي النهائي الثاني في رصيده بعد الأول في عام 1985، والذي شهد تتويجه باللقب الوحيد في المسابقة. وسيلعب ذهاب النهائي في 15 مايو المقبل في جنوب أفريقيا، وسيقام لقاء الإياب في المغرب في الـ24 من الشهر ذاته. ويحمل الجيش أيضا آمال الكرة العربية، في الإبقاء على اللقب وخلافة فريق بيرامدز المصري، الذي توّج به في العام الماضي على حساب صن داونز نفسه. وقد فازت الأندية العربية بدوري أبطال أفريقيا في آخر تسع نسخ تواليا من المسابقة.

يعد الاستقرار الإداري والعمل الكبير الذي قامت به مكونات النادي خلال السنوات الأخيرة حجر الزاوية في هذه العودة القوية، فبعد سنوات من الغياب عن المنصات القارية نجحت إدارة الجيش الملكي في وضع إستراتيجية واضحة المعالم تهدف إلى استعادة هيبة "الزعيم" أفريقيًا، من خلال توفير كافة الإمكانيات وتذليل العقبات أمام الفريق للمنافسة في أعلى المستويات، وهو ما أثمر اليوم الوصول إلى المحطة الختامية لأغلى الكؤوس القارية.

فرض المدرب البرتغالي ألكسندر سانتوس شخصية قوية في الفريق منذ توليه المسؤولية، حيث اعتمد نهجا هجوميا واضحا لا يركن إلى الدفاع حتى في أصعب الرحلات الأفريقية. هذا الأسلوب منح اللاعبين ثقة كبيرة في قدراتهم، وجعل من الجيش الملكي فريقا يبادر دائما لصناعة اللعب والضغط على الخصوم في مناطقهم، وهو ما ظهر جليا في مباراة الذهاب بالرباط التي كانت مفتاح التأهل للنهائي الحلم.

القوة التنافسية

أسهمت جودة العناصر البشرية التي يمتلكها الفريق حاليا في تحقيق هذا الإنجاز، حيث نجح النادي في بناء توليفة متناغمة تمزج بين خبرة الركائز الأساسية وطموح الأسماء الشابة. وبوجود لاعبين من طينة ربيع حريمات وأحمد حمودان وخالد آيت ورخان أصبح الفريق يمتلك حلولا فردية وجماعية قادرة على فك شفرات أقوى الدفاعات، مما منح المدرب خيارات تكتيكية متعددة أسهمت في تخطي عقبات كبار القارة.

> كاردوزو يسعى إلى كسر العقدة بعدما خسر النهائي مرتين عندما كان مدربا للترجي أمام الأهلي في 2024، ونهائي 2025 مع صن داونز

لا يمكن عزل تألق الجيش الملكي قاريا عن المستوى التصاعدي والتنافسية الشرسة التي يشهدها الدوري المغربي هذا الموسم، فالاحتكاك مع أندية قوية مثل نهضة بركان والوداد والرجاء والمغرب الفاسي رفع من درجة جاهزية اللاعبين ومنسوبهم البدني والذهني، هذا الصراع المحلي على اللقب جعل "العساكر" في حالة تأهب دائمة، مما سهّل مأموريتهم في تسيير مباريات دوري الأبطال بذكاء واحترافية عالية.

وأصدر الاتحاد المغربي لكرة القدم بيانا رسميا، بعد تأهل الجيش الملكي إلى نهائي دوري أبطال أفريقيا. وقال الاتحاد المغربي في البيان الذي نشره عبر موقعه الرسمي "يتقدم فوزي لقجع، رئيس الاتحاد المغربي، بالأصالة عن نفسه، ونيابة عن أعضاء المكتب المديري، بتهنئة الجيش الملكي بمناسبة تأهله إلى نهائي دوري أبطال أفريقيا".

إنجاز مهم

تابع البيان "كان الجيش الملكي قد فاز في لقاء الذهاب الأسبوع الماضي بهدفين دون رد، في المباراة التي أُقيمت بالمجمع الرياضي الأمير مولاي عبدالله بمدينة الرباط، ليحسم بذلك تأهله إلى المباراة النهائية متفوقا في مجموع المباراتين".

أعرب ميغيل كاردوزو مدرب صن داونز الجنوب أفريقي عن سعادته بالتأهل لنهائي دوري أبطال أفريقيا للمرة الثالثة على التوالي. وانتزع صن داونز بطاقة التأهل لنهائي دوري الأبطال للمرة الثانية على التوالي والرابعة في تاريخه بعد أعوام 2001 و2016 و2025 عقب الفوز ذهابا وإيابا على الترجي بنتيجة واحدة 1 – 0.

ويسعى كاردوزو لكسر العقدة بعدما خسر النهائي مرتين عندما كان مدربا للترجي أمام الأهلي المصري في 2024، ونهائي العام الماضي 2025 مع صن داونز أمام بيراميدز المصري. وصرح المدرب البرتغالي "نستحق الفوز، ودوري الأبطال يتطلب الالتزام الدفاعي في بعض الأحيان، ولاعبو فريقي تعاملوا بنضج شديد". وأضاف "سعيد بمستوى اللاعبين، وفخور بهم وبمسؤولي النادي وجماهير الفريق، فالتأهل لنهائي دوري أبطال أفريقيا للمرة الثالثة توالياً يبقى إنجازا مهما في مسيرتي".

ثم واصل "جئت إلى أفريقيا من أجل تحقيق أحلامي، وهذا التأهل هدية لجدتي وعائلتي وزوجتي وأبنائي في البرتغال، أشكرهم على المساندة والدعم". وختم تصريحاته "تأجيل المباريات في الدوري المحلي خطوة مهمة للأندية التي تشارك في البطولات القارية، لأنه يجب تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق النجاح في المسابقات القارية".

ويتأهل الفريق الفائز بلقب دوري أبطال أفريقيا للمشاركة في النسخة الثانية من بطولة كأس العالم للأندية "الموسعة" بمشاركة 32 فريقا، والمقرر لها عام 2029 رفقة بيراميدز المصري الفائز بلقب النسخة الماضية لدوري أبطال أفريقيا.

في المقابل هاجم باتريس بوميل، مدرب الترجي التونسي، طاقم التحكيم الذي أدار مباراة الفريق أمام صن داونز. وقال بوميل في تصريحات عقب اللقاء "الحكم كان ضعيفا ولم يكن على مستوى مباراة مهمة في نصف نهائي دوري الأبطال".

معاناة تشيلسي مستمرة.. أين بصمة روسينيور

لندن - دخل نادي تشيلسي، مع مدربه ليام روسينيور، في دوامة النتائج السلبية، مما ينذر بغيابه عن دوري أبطال أوروبا في الموسم المقبل.

واستمر مسلسل سقوط تشيلسي، بخسارته على أرضه في ملعب ستامفورد بريدج، أمام مانشستر يونايتد، بهدف دون رد، من توقيع ماتيوس كونيا، في الجولة 33 من عمر الدوري الإنجليزي الممتاز.

وضل تشيلسي طريق الفوز في آخر 4 جولات بالبريميرليغ، بالخسارة أمام نيوكاسل وإيفرتون ومانشستر سيتي ومانشستر يونايتد. وتراجع البلوز إلى المركز السادس في جدول ترتيب البريميرليغ برصيد 48 نقطة، وبالتالي بات خارج المراكز المؤهلة لدوري أبطال أوروبا.

على المستوى المعنوي لا يزال تشيلسي يعاني من توديع دوري أبطال أوروبا، بنتيجة ثقيلة أمام حامل اللقب، باريس سان جرمان. وودع تشيلسي البطولة الأوروبية من ثمن النهائي، بخسارته في ملعب حديقة الأمراء بنتيجة 2 – 5، قبل سقوطه في ملعبه ستامفورد بريدج بثلاثية دون رد، ليخسر بنتيجة إجمالة 2 – 8. وتأهل تشيلسي مباشرة إلى ثمن نهائي التشامبيونزليغ باحتلال المركز السادس في مرحلة الدوري برصيد 16 نقطة من 5 انتصارات وتعادل وحيد وهزيمتين، دون الحاجة إلى خوض الملحق. أما باريس سان جرمان فقد اضطر إلى خوض الملحق المؤهل لثمن نهائي البطولة، بعدما احتل المركز 11 برصيد 14 نقطة.

لم ينجح روسينيور في قيادة تشيلسي إلى تحقيق الانتفاضة المطلوبة على مستوى النتائج، بعدما تولى مهمة تدريب الفريق عقب إقالة إنزو ماريسكا في يناير الماضي. وقاد روسينيور تشيلسي على مدار 12 مباراة في البريميرليغ، بواقع 5 انتصارات فقط، مقابل 5 هزائم، والتعادل في مباراتين، مع تسجيل 19 هدفا، واستقبال 18 هدفا. ولم يعرف تشيلسي طريق هز الشباك في آخر أربع جولات بالدوري الإنجليزي، وهو ما يلخص معاناة البلوز هجوميا.

> تشيلسي لم يعرف طريق هز الشباك في آخر أربع جولات بالدوري الإنجليزي، وهو ما يلخص معاناة البلوز هجوميا

وبات نادي تشيلسي مهددا بالخروج بموسم صفري يخلو من الألقاب، بعد تراجع نتائجه في الأمتار الأخيرة. وودع كأس رابطة المحترفين من نصف النهائي، على يد آرسنال، بخسارته ذهابا وإيابا، بنتيجة 2 – 3 و0 – 1 على الترتيب.

كما فقد تشيلسي حظوظه في المنافسة على لقب الدوري الإنجليزي الممتاز هذا الموسم، بجانب توديع دوري أبطال أوروبا. ولم يتبق أمام تشيلسي سوى المنافسة على كأس الاتحاد الإنجليزي، وسيواجه ليدز يونايتد في نصف النهائي، يوم 26 أبريل الجاري.

روسينيور مدرب تشيلسي يتمسك بأمل التأهل لدوري أبطال أوروبا رغم كبوة الهزائم المتتالية.

سقط تشيلسي وسط جماهيره، ليتلقى الخسارة الرابعة على التوالي، ويتجمد رصيده عند 48 نقطة في المركز السادس، متفوقا بفارق الأهداف عن برينتفورد وبورنموث، صاحبي المركزين السابع والثامن، وخلفهم بنقطة واحدة فقط برايتون، وإيفرتون الذي سيستضيف ليفربول في ديربي ميرسيساید عصر الأحد.

وتتأهل أول خمسة أندية في جدول الترتيب لدوري أبطال أوروبا في الموسم المقبل. سئل روسينيور عقب الخسارة أمام يونايتد بشأن قدرة تشيلسي على إنهاء الموسم بين الخمسة الأوائل في الدوري الإنجليزي ليرد بلا تردد "نعم.. بالتأكيد".

وتطرق إلى سيناريو الخسارة أمام مانشستر يونايتد، مضيفا عبر هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) "الأمر صعب، لقد فازوا بتسديدة واحدة فقط على مرمانا عندما كنا نلعب بعشرة لاعبين". وأضاف "لقد هددنا مرماهم بالعديد من الهجمات، وتصدى القائم والعارضة لأربع محاولات تقريبا، ولا أريد أن يشعر اللاعبون بأن الظروف تعاكسنا، بل علينا مواصلة الكفاح".

وبشأن هدف مانشستر يونايتد، قال مدرب تشيلسي أيضا "كان علينا التعامل دفاعيا بشكل أفضل، ولكننا لم نفعل ذلك، ودفعنا الثمن، ففي الفترة الحالية نستقبل هدفا مباشرة بعد أي خطأ نرتكبه، ويجب أن يتغير ذلك".

تحد ياباني جديد أمام الأهلي السعودي للدفاع عن لقب أبطال آسيا

جدة (السعودية) - تتجه أنظار جماهير كرة القدم الآسيوية إلى مدينة جدة، حيث سيستضيف الأهلي السعودي نظيره جوهور دارول تاكزيم الماليزي ضمن مواجهة قوية في ربع نهائي دوري أبطال آسيا للنخبة لموسم 2025 – 2026. وتحمل المباراة طابعا تنافسيا كبيرا بين حامل اللقب وطموح الفريق الماليزي الباحث عن إنجاز تاريخي.

وفي الوقت الذي تدخل فيه المسابقة القارية الأهم على مستوى أندية آسيا مراحلها الأخيرة، يتطلع الأهلي إلى مواصلة التقدم والوصول إلى النهائي للعام الثاني على التوالي، متسلحا بذكريات التفوق على منافس ياباني آخر وهو كاواساكي فرونتال الذي تغلب عليه في نهائي النسخة الماضية من البطولة.

وتأهل الأهلي عن دور الثمانية بفوز صعب على جوهور دار التعظيم الماليزي، في مباراة اضطر فيها الفريق إلى استكمالها بنقص عددي منذ وقت مبكر، بسبب طرد المدافع علي مجرشي، والذي سيفتقده الفريق أيضا في مباراة الدور نصف النهائي.

لكن العناصر الأخرى المتاحة لدى المدرب الألماني ماتياس يايسله قد تمنحه التوازن المطلوب أمام فيسيل كوبي، على غرار الإنجليزي إيفان تووني في الهجوم بجانب الثنائي البرازيلي جالينو وماتياس جونسالفيش، واللاعب الجزائري رياض محرز. وسيتعين على الأهلي إيجاد إيقاع اللعب المناسب الذي يستطيع من خلاله مجاراة سرعة وقوة الفريق الياباني، والذي تأهل بدوره على حساب السد القطري بسيناريو مثير بعد الفوز بركلات الترجيح، علما بأن السد كان متقدما بنتيجة 3 – 1 قبل نحو ربع ساعة من نهاية المباراة.

ورغم أن فيسيل كوبي لا يعول على الكثير من المحترفين الأجانب، لكن تألق جناحه الأيسر أوساكو، وكذلك لاعب الوسط الهجومي يوشينوري موتو، يجعل الفريق قادرا على التسجيل بأكثر من طريقة.

أما الطرف الآخر من الدور نصف النهائي فسيشهد مواجهة خاصة بين ماتشيدا زيلفيا الياباني وشباب الأهلي الإماراتي، حيث كان الأول قد تأهل على حساب الاتحاد السعودي، الذي يعيش واحدا من أقل مواسمه، بتغلبه عليه بنتيجة 1 – 0، أما شباب الأهلي فأنهى مغامرة بوريرام يونايتد التايلاندي بالفوز عليه 3 – 2.

> الطرف الآخر من الدور نصف النهائي سيشهد مواجهة خاصة بين ماتشيدا زيلفيا الياباني وشباب الأهلي الإماراتي

ورغم أن شباب الأهلي لم يحظ بالدعم الكبير من جماهيره في مباراته التي أقيمت على ملعب عبدالله الفيصل في جدة، فإن البرتغالي باولو سوزا سيأمل في دعم أكبر أمام منافس أصعب، خاصة أنه يحمل آمال الكرة الإماراتية في تكرار إنجاز العين الذي وصل إلى النهائي وفاز باللقب قبل عامين.

وإذا كانت المنافسة الشرسة محليا مع العين على لقب دوري المحترفين تزداد صعوبة في الجولات الأخيرة من المسابقة فإن الأهلي يأمل في تحقيق إنجاز آسيوي جديد والوصول إلى أول نهائي قاري له منذ عام 2016. ويراهن سوزا على تألق العديد من النجوم مثل الإيراني سعيد عزت اللهي الذي يمر بفترة مميزة تهديفيا، وكذلك البرازيلي جويليرمي بالا، ومواطنه ماتيوساو قلب الهجوم، بالإضافة إلى أصحاب الخبرات مثل الأرجنتيني الأصل فيدي كارتابيا.

أما ماتشيدا الذي يحتل المركز الثالث في ترتيب الدوري الياباني، فيأمل في أن يعيد اللقب إلى شرق آسيا بعد غياب دام أربع سنوات، إذ كان آخر بطل من الشرق يمثل الكرة اليابانية أيضا وهو أوراوا ريد دياموندز الذي فاز على الهلال السعودي. ومنذ ذلك الحين كانت هناك أكثر من محاولة يابانية فاشلة لتأمين اللقب، بخسارة يوكوهاما مارينوس ضد العين في موسم 2023 – 2024، وخسارة كاواساكي فرونتال ضد الأهلي السعودي في الموسم الماضي.

خطوات ثابتة

العرب
الإثنين 2026/04/20
السنة 48 العدد 13789

مؤرخة بريطانية توثق حياة الملكة إليزابيث رسميا

في خطوة لافتة، أعلنت العائلة المالكة البريطانية تكليف المؤرخة آنا كاي بكتابة السيرة الرسمية للملكة إليزابيث الثانية، مستندة إلى أرشيف خاص ووثائق نادرة، في عمل مرتقب قد يكشف تفاصيل إنسانية وتاريخية غير مسبوقة عن أطول ملوك بريطانيا حكما.

كتاب جديد يكشف الأسرار

لندن - أعلنت العائلة المالكة البريطانية، الأحد، تكليف المؤرخة آنا كاي بكتابة السيرة الذاتية الرسمية للملكة الراحلة إليزابيث الثانية، التي توفيت عام 2022 بعد أكثر من سبعين عاماً على عرش المملكة المتحدة، في واحدة من أطول فترات الحكم في التاريخ البريطاني الحديث.

ويأتي هذا القرار في إطار مساع لتوثيق حياة الملكة الراحلة بشكل شاملٍ ودقيق، حيث أشارت تقارير إعلامية بريطانية إلى أن تشارلز الثالث كان يفضل أن تتولى هذه المهمة مؤرخة، إيماناً منه بأهمية تقديم رؤية مختلفة وأكثر عمقاً لحياة والدته، من منظور نسائي أكاديمي قادر على الإحاطة بتفاصيل تجربتها الإنسانية والسياسية.

وفي بيان رسمي، أكد قصر باكينغهام أن كاي ستحظى بإمكانية غير مسبوقة للاطلاع على الوثائق الشخصية والرسمية الخاصة بالملكة، والمحفوظة داخل الأرشيف الملكي، وهو ما يتيح لها مادة تاريخية غنية تسهم في تقديم سيرة موثقة تستند إلى مصادر أصلية.

كما أشار البيان إلى أن المؤرخة البريطانية ستجري سلسلة من اللقاءات مع أفراد العائلة المالكة، إلى جانب أصدقاء الملكة الراحلة وعدد من موظفي القصر الذين رافقوها خلال سنوات حكمها الطويلة، وهو ما يعزز من فرص تقديم صورة متعددة الأبعاد تجمع بين الجانب الرسمي والإنساني في آن واحد.

وعبّرت آنا كاي عن اعتزازها الكبير بهذا التكليف، واصفة إياه بأنه "شرف عظيم"، مؤكدة أن الملكة إليزابيث الثانية تمثل شخصية استثنائية في التاريخ المعاصر، نظرا لامتداد حياتها عبر قرن كامل شهد تحولات جذرية على المستويين البريطاني والعالمي. وأضافت أن هذه المهمة تتطلب جهدا بحثيا دقيقا ومسؤولية كبيرة في نقل صورة متوازنة تعكس إسهامات الملكة ودورها في الحفاظ على استقرار المؤسسة الملكية.

وتُعرف كاي بخبرتها الأكاديمية الواسعة، خاصة في دراساتها حول الحقبة الجمهورية البريطانية بين عامي 1649 و1660، وهي فترة مفصلية في تاريخ النظام السياسي البريطاني. وقد أكسبها هذا التخصص سمعة علمية مرموقة، وجعلها من بين الأسماء البارزة القادرة على التعامل مع مشروع توثيقي بهذا الحجم.

ومن المتوقع أن يسعى هذا العمل إلى تقديم قراءة شاملة لمسيرة الملكة إليزابيث الثانية، التي عاصرت أحداثاً تاريخية كبرى، من بينها نهاية الإمبراطورية البريطانية، والتحولات السياسية داخل الكومنولث، إضافة إلى التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدها العالم خلال العقود الماضية. كما سيحاول الكتاب رصد تفاعل الملكة مع هذه المتغيرات، ودورها في الحفاظ على استمرارية المؤسسة الملكية وسط تحديات متزايدة.

وتحظى السير الذاتية الرسمية لأفراد العائلة المالكة البريطانية باهتمام واسع، نظراً لما تكشفه عادة من تفاصيل غير معروفة عن حياتهم الشخصية والصحية، بعيداً عن الصورة البروتوكولية التي تظهر في الإعلام. وغالباً ما تمثل هذه الكتب مصادر تاريخية مهمة، تتيح للباحثين والجمهور فهما أعمق للشخصيات الملكية.

وفي هذا السياق، يستحضر المتابعون تجربة المؤرخ ويليام شوكروس، الذي تولى كتابة السيرة الذاتية الرسمية لوالدة الملكة إليزابيث، زوجة الملك جورج السادس، حيث كشف في عمله عن تفاصيل دقيقة تتعلق بمعاناتها من سرطان القولون خلال فترة من حياتها، وهو ما شكل آنذاك مفاجأة للرأي العام، وأبرز الجانب الإنساني لشخصية ملكية ظلت لفترة طويلة محاطة بالتحفظ.

ومن هنا، يتوقع أن تتبع آنا كاي نهجاً مماثلاً من الشفافية والدقة، مع مراعاة التوازن بين احترام الخصوصية وتقديم مادة تاريخية غنية تكشف عن الجوانب المختلفة لشخصية الملكة إليزابيث الثانية، سواء كقائدة للدولة أو كإنسانة عاشت تحولات كبرى.

وتترقب الأوساط الثقافية والتاريخية صدور هذا العمل، الذي يُنتظر أن يشكل مرجعاً أساسياً لفهم واحدة من أبرز الشخصيات في القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. فإلى جانب دورها السياسي، ارتبط اسم إليزابيث الثانية بالاستمرارية والثبات، حيث نجحت في الحفاظ على مكانة المؤسسة الملكية في ظل تغيرات متسارعة.

ليبيا تجدد الدعوة إلى حماية إرثها التاريخي

بنغازي - أحيت ليبيا على غرار دول العالم اليوم العالمي للتراث في مناسبة تسلط الضوء على غناها الحضاري وتنوع إرثها الثقافي، وسط دعوات متجددة إلى الحفاظ على هذا المخزون التاريخي الذي يمثل إحدى أهم ركائز الهوية الوطنية.

ويُعد يوم 18 أبريل من كل عام، فرصة لتعزيز الوعي بأهمية صون التراث الثقافي والإنساني، خاصة في البلدان التي تمتلك رصيدا حضاريا عريقا مثل ليبيا، حيث تتداخل الحضارات القديمة وتترك بصماتها في مختلف مناطق البلاد.

وتحتضن ليبيا عددا من أبرز المواقع الأثرية المصنفة ضمن قائمة التراث العالمي، من بينها شحات ولبدة الكبرى وصبراتة، وهي مدن تاريخية تعكس تعاقب حضارات إغريقية ورومانية وبيزنطية، وتشكل شاهدا حيا على عمق التاريخ الليبي وتنوعه الثقافي.

ويمثل التراث في ليبيا، بمختلف أشكاله، من مواقع أثرية ومدن قديمة وعادات وتقاليد وفنون شعبية، ذاكرة حية توثق مسيرة المجتمع عبر العصور، وتعكس خصوصية الهوية الليبية. كما يشكل هذا الإرث رافدا مهما للتنمية الثقافية والسياحية، إذا ما تم استثماره والحفاظ عليه بالشكل المطلوب.

غير أن هذا المخزون الحضاري يواجه تحديات متزايدة، أبرزها الإهمال وضعف أعمال الصيانة، إضافة إلى التوسع العمراني غير المنظم، وتأثيرات النزاعات التي شهدتها البلاد خلال السنوات الماضية، فضلا عن التغيرات المناخية والعوامل الطبيعية التي تهدد سلامة العديد من المواقع الأثرية.

وفي هذا السياق، يمثل اليوم العالمي للتراث مناسبة لتجديد الدعوة إلى تكاتف الجهود بين المؤسسات الرسمية والمجتمع المحلي، من أجل حماية هذا الإرث الإنساني وضمان استمراريته. كما يشدد المهتمون على أهمية تعزيز الوعي المجتمعي بقيمة التراث، باعتباره رابطا أساسيا بين الماضي والحاضر، وعنصراً محورياً في بناء مستقبل ثقافي مستدام.

عبير نعمة تغني في الرياض

بيروت - تستعد الفنانة اللبنانية عبير نعمة لإحياء حفل غنائي مرتقب في العاصمة السعودية الرياض، ضمن سلسلة حفلاتها المقررة لعام 2026، حيث تلتقي جمهورها في أمسية تجمع بين الطرب الأصيل واللمسة الموسيقية الحديثة. ومن المقرر أن يُقام الحفل يوم الجمعة 8 مايو 2026 على خشبة المسرح الأحمر في جامعة الأميرة نورة، وسط توقعات بإقبال جماهيري واسع.

وأعلنت الجهة المنظمة عن الحفل عبر منصات التواصل الاجتماعي، ما أثار تفاعلا لافتا بين محبي الفنانة، الذين أبدوا حماسهم لحضور هذه السهرة التي تَعد بتجربة فنية مميزة تمزج بين الإحساس العالي والتجديد الموسيقي.

على صعيد آخر أطلقت عبير نعمة أحدث أعمالها الغنائية المصوّرة بعنوان "حبيبتي"، في رسالة حب مفتوحة إلى بيروت، حملت في طياتها مشاعر الحنين والانتماء. وجاء العمل بتوقيع الشاعر والملحن وسام كيروز، فيما تولى سليمان دميان التوزيع الموسيقي، وأخرجه نديم حبيقة برؤية بصرية شاعرية.

وتجسّد الأغنية بيروت بصورة تتجاوز كونها مدينة، لتصبح رمزا حيا للذاكرة والوجدان، وفضاءً للحب والأمل. وقد عبّرت نعمة من خلالها عن علاقة وجدانية عميقة، خاطبت فيها المدينة كأنها الحبيبة الأقرب إلى القلب، في طرح فني صادق ومؤثر.

أما الفيديو كليب فقدم صورة حالمة لبيروت، حيث تداخلت ملامح الواقع مع رؤية متفائلة لمدينة تنهض باستمرار، ويظل الضوء فيها عنوانا للأمل والتجدد.

وقد عكس العمل هوية عبير نعمة الفنية القائمة على الإحساس الراقي والصدق الإنساني، مقدما تجربة متكاملة تتجاوز حدود الأغنية لتلامس مشاعر المستمع وتدعوه إلى التأمل.

مراكش ترقص على إيقاعات «كناوة شو»

مراكش (المغرب) - تستعد مدينة مراكش لاحتضان فعاليات الدورة التاسعة من مهرجان "مراكش كناوة شو"، وذلك يومي 8 و9 مايو المقبل، في موعد فني جديد يعزز حضور موسيقى كناوة في الفضاءات العمومية ويقربها من جمهور واسع من عشاق هذا اللون التراثي الأصيل.

وستُقام حفلات هذه الدورة بساحة جامع الفنا، التي تعد القلب النابض للمدينة الحمراء وفضاءً مفتوحًا يحتضن مختلف التعبيرات الثقافية والفنية، ما يمنح المهرجان طابعًا احتفاليًا خاصًا يجمع بين الأصالة والانفتاح.

ويعرف برنامج اليوم الأول من المهرجان مشاركة مجموعة من "المعلمين" البارزين في فن كناوة، من بينهم سعيد كويو وعثمان حميتي وبوجمعة حميتي ومراد المرجان وياسين طير الليل، حيث يرتقب أن يقدموا عروضًا موسيقية تمزج بين الإيقاعات الروحية والأداءات التقليدية التي تميز هذا الفن.

أما اليوم الثاني فسيشهد صعود المعلم حسن بوسو إلى المنصة، إلى جانب المعلم حميتي و"وان باند"، في عروض يُنتظر أن تواصل شد انتباه الجمهور وتقديم لوحات فنية تعكس غنى وتنوع التراث الكناوي.

ويأتي تنظيم هذه الدورة في سياق تزايد الاهتمام بموسيقى كناوة، باعتبارها جزءًا من الهوية الثقافية المغربية، ورافدا فنيا استطاع أن يفرض حضوره على الساحة الدولية، مع الحفاظ على جذوره الروحية وخصوصيته الإبداعية.

ويُرتقب أن تستقطب هذه التظاهرة جمهورًا غفيرًا من داخل المغرب وخارجه، خاصة مع اختيار فضاء مفتوح يتيح للجمهور التفاعل المباشر مع العروض، في أجواء احتفالية تعكس روح مراكش كوجهة ثقافية وسياحية بامتياز.

صباح العرب

كرم نعمة
كاتب عراقي

رقمنة الجسد قبل العواطف

كنت أظن أن جهلي بالأدوية نوع من العصيان الصغير. أن أرفض حفظ أسماء العقاقير، وأن أتعامل مع الوصفة الطبية كشيء عابر، لا كقدر يومي، كان يبدو لي شكلاً من أشكال الدفاع عن حرية الجسد. كنت أقول لنفسي: ما دمت لا أعرف، فلن أُستدرج إلى حياة تُدار بالأقراص والمواعيد والجرعات. اليوم، وأنا أقترب من منتصف الستين، أكتشف أن هذا الجهل لم يكن بطولة، لكنه كان على الأقل مساحة داخلية أتوهم أنها تخصني وحدي. مساحة لا يعرفها أحد، ولا تقيسها آلة، ولا تسجلها منصة.

الآن، مع حبة دواء تعرف متى ابتلعتها، وتُرسل إشارة إلى جهة خارجية لتؤكد ذلك، يبدو أن تلك المساحة نفسها مهددة بالاختفاء. لم يعد السؤال هل أتناول الدواء أم أرفضه؟ بل صار من يملك حق معرفة أنني تناولته؟ ومن يملك حق تسجيل هذه اللحظة، وتحويلها إلى معلومة، وإدخالها في نظام لا أعرف حدوده ولا نهاياته؟

الحبة الذكية التي ابتكرها علماء معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ليست مجرد اختراع طبي. هي علامة على تحوّل أعمق، تحوّل الجسد من كيان خاص إلى واجهة بيانات. كبسولة صغيرة تذوب في الداخل، تطلق هوائيًا من الزنك، يفعّل إشارة تردد لاسلكي، تُلتقط عبر رقعة قابلة للارتداء، وتُرسل إلى "الجهة المعنية".

في الظاهر، نحن أمام حل أنيق لمشكلة مزمنة، المرضى الذين لا يلتزمون بالعلاج. في العمق، نحن أمام خطوة جديدة في مشروع أكبر، رقمنة الجسد، وتحويل ما كان يوما "داخل الإنسان" إلى ملكية مشاعة للآخرين.

التحول هنا ليس تقنيا فقط، بل أخلاقي وسياسي وفلسفي. حين تصبح لحظة ابتلاع حبة دواء حدثا مسجلا، فإن ما يتغير ليس فقط علاقة المريض بالطبيب، بل علاقة الإنسان بذاته. لم يعد الجسد سرا، ولا حتى موضوعا للتأمل الشخصي، بل أصبح ملفا مفتوحا، يُحدَّث تلقائيا، وتُضاف إليه "وقائع" لا يملك صاحب الجسد التحكم في مصيرها. ما كان في الماضي اعترافا طوعيا للطبيب، صار الآن إشارة تلقائية لا تحتاج إلى كلام.

عالم الأخلاقيات الحيوية في جامعة سيتي سانت جورج بلندن، ريتشارد آش كروفت محق حين يقول إن هذه العلاجات الرقمية تعزز فكرة أن "الخطأ دائما في المريض". فحين لا تُسجَّل إشارة الابتلاع، يصبح التقصير فرديا، لا نظاميا. لا أحد يسأل عن ضغط العمل، أو الفقر، أو الاكتئاب، أو سوء التواصل مع الطبيب، أو الآثار الجانبية التي يخشاها المريض. كل شيء يُختزل إلى سؤال واحد: لماذا لم تبتلع الحبة؟

التكنولوجيا هنا لا تُصلح النظام الصحي، بل تُضيف طبقة مراقبة فوقه، وتحوّل المريض إلى متهم محتمل، يحتاج دائما إلى إثبات براءته عبر إشارة لاسلكية.

لكن ما يقلق أكثر من "لوم المريض" هو ما يتجاوزه، من يملك الجسد حين يتحول إلى بيانات؟

حين تُرسل إشارة الابتلاع إلى "الطاقم الطبي"، من يضمن ألا تُشارك مع شركة التأمين؟ مع شركة الأدوية؟ مع جهة حكومية؟ مع خوارزمية لا نعرف من صممها ولا لأي غاية نهائية تعمل؟ الخصوصية هنا ليست مجرد بند قانوني، بل سؤال وجودي، هل يحق للإنسان أن يحتفظ بجزء من ذاته خارج دائرة الرصد؟

رقمنة الجسد ليست حدثا معزولا. هي جزء من مسار بدأ منذ أن قبلنا أن تُقاس خطواتنا، وأن تُسجَّل ساعات نومنا، وأن تُراقَب ضربات قلوبنا عبر ساعات ذكية وأساور لياقة.

كنا نقول إننا نفعل ذلك من أجل الصحة، من أجل "نمط حياة أفضل". لكن شيئا فشيئا، تحوّل الجسد إلى مشروع مراقبة ذاتية، ثم إلى مشروع مراقبة خارجية. ما كان في البداية اختيارا فرديا صار معيارا اجتماعيا. من لا يراقب جسده يبدو متخلفا عن "العصر الرقمي"، ومن لا يشارك بياناته يبدو مشبوها أو غير متعاون.